
سلسلة آثار وشخصيات إسلامية
٦
محمد ابن الحنفية
إعداد السيد محمود الغريفي



الطبعة الأولى

ذو الحجة - ١٤٢٣هـ

❖ الموضوع: ملامح من حياة محمد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

❖ تأليف: السيد محمود الغريفي البحراني.

❖ التدقيق اللغوي: الشيخ مسلم رضائي.

❖ تنضيد الحروف والإخراج الفني: علي طاهري.

❖ الناشر: حملة ثامن الحجج عليه السلام . دولة الكويت

❖ تقديم الحملة

ما دمنا في شكر له تعالى على ما أنعم به علينا في أن نكون بهذا الطريق الذي ينير للناس الدرب.. هذا الطريق الذي نفتح فيه المجال أمام عشاق المعرفة للارتباط بأهل البيت ﷺ والتابعين لهم والممثلين لنهجهم منذ عصرهم ﷺ وحتى عصرنا، فقوافل الزيارة التي تكررها إلى العتبات المقدسة وفي المواسم الدينية هي جسر الارتباط الذي نفتخر بأن لنا دور فيه وأملنا في الاستمرار به، كما أن الطريق يتسع في أجوائنا إلى محيط المعرفة النظرية عبر هذا المشروع الذي نؤسس له وهي السلسلة التعريفية بالآثار والشخصيات الإسلامية وكان معنا في تنفيذه إلى هذه الحلقة أخونا الكاتب السيد محمود الغريفي الذي نسأل الله له ولنا وللجميع بالتوفيق في هذا الدرب درب الطاعة.

والحمد لله رب العالمين

مؤسس الحملة
عبد الله شرق



❖ في البدء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا الأكرم محمد ﷺ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، لا سيما بقية الله في أرضه أرواحنا لمطلعه الفداء (عجل الله تعالى له الفرج وسهل له المخرج)..

وبعد:

فبالرغم من أن هذه الحلقة تستحق منا جهداً أكبر مما تعكسه تلك الصفحات من حيث العرض والتحقيق ولكننا تقصّدنا أن نعتمد هذا الأسلوبِ في العرض وهو اقتطاف نصوص من التأريخ تحكي موضوعاً واحداً وترسم ملامحه.

وهذا ما أدرناه تحديداً في الموضوعات السابقة وهذا الموضوع الذي بين أيدينا وما سيليه من موضوعات تم تحديدها وكتابة بعضها.

ما زلنا بحاجةٍ إلى تذكير القارئ برؤيتنا للخوض في موضوعات التاريخ خصوصاً المهملة منها، وهي أنه ليست هناك مناهجية خاصة أرسيت معالمها بل إنّ هناك جهوداً مختلفة يمكن رسم طيف المنهج منها إنْ كان علامة التحقيق في التأريخ بعصرنا العلامة الفاضل سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي (حفظه الله وأبقاه) في حراكه التحقيقي قد شارف على إرساء معالم المنهج الأصيل، إلا أنه ما زلنا في ظل ذلك الغياب نركن إلى المنهج الرجالي العام المرتكز في الدراسات الحوزوية بالرغم من أن التأريخ بحاجة إلى منهجه في الغربلة.

ومن هنا فإننا بأدوات متنوعة نبذل جهدنا في عرض موضوعات تاريخية راجين الحصول على الثواب من خلال التعريف بها.

ومحمد ابن الحنفية وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كشخصية نعتبرها من شخصيات الفكر والتأريخ الشيعي استناداً إلى قول أعلام المدرسة كان لابدٍ لنا من عرض جملة من ملامح حياتها وإعادة البصيرة بها خصوصاً في ظل وجود أو نشأة تيارات فكرية أو فرقية أو مذهبية سرقت اسم محمد ابن الحنفية إليها وهو بريء منها.

آملين أن تكون هذه الصفحات كاشفة بعض الشيء لحقيقة شخصية ابن أمير المؤمنين عليه السلام والذي التزم خط الإمامة الإلهية منذ إمامة أبيه وحتى آخر إمام عاش حياته.

وإن لم يكن كذلك فإنها على أقل التقادير قد أتاحت لي الفرصة للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام والرد على خصومه وأسأل الله أن يوفقني لاستكمال هذا العمل وغيره من الأعمال على أفضل وجه إنه ولي التوفيق.

محمود الغريفي. صنعاء
١٤٢٣ للهجرة

❖ تسميته

قيل إن النبي ﷺ هو الذي سماه محمدا [1].

وقيل إن الإمام علي عليه السلام هو الذي سماه محمدا بإذن رسول الله ﷺ، وروي هذا الخبر الذي فيه إن الإمام علي عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: إن ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم.

قال المحققون: فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقال محمد: فسماني محمدا وكناني بأبي القاسم [2].

وأما الذين يقولون بأن النبي ﷺ هو الذي سماه فيستندون إلى الخبر التالي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال له النبي ﷺ:

إن ولد لك غلام فسمه باسمي وكنه بكنيتي وهو لك رخصة دون الناس [3].

وقال السيد المرعشي رحمه الله: نهى الرسول ﷺ أن يجمع في التسمية محمد والكنية أبو القاسم [4].

وتذكر الأخبار إن النبي ﷺ كان قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه سيولد لك غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي [5].

❖ كنيته

ويكنى بـ (ابن الحنفية) تمييزا له عن أخويه الحسن والحسين عليهما السلام، فهما ابنا الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي أمهما، أما محمد فأمه خولة

---

[1] - شرح القاصد الهاشميات: ص ٢١.
[2] - شرح إحقاق الحق: ج٢٧ ص٢٢.
[3] - المصدر المتقدم: ص ٢٨.
[4] - شرح إحقاق الحق: ج٢٣، ص ٢٦٦.
[5] - جامع الأصول: ج١، ص٢٨٠.

بنت جعفرٍ الحنفية[6].

وأيضاً تمييزاً له عن أخيه الأخر الذي يحمل نفس اسمه، وهو: محمد بن علي الملقب بـ(الأصغر) وأمه أم ولد، قتله رجل من بني أبان بن دارم في كربلاء[7]، يوم عاشوراء مع أخيه الحسين عليه السلام في وقعة الطف.

❖ والدته

هي خولة بنت جعفر، من قبيلة من العرب، امتنعت هذه القبيلة عن دفع الزكاة إلى أبي بكر الذي تقمص الخلافة بعد رحيل الرسول ﷺ وقالوا له إن الرسول ﷺ لم يأمر بالدفع إليك ولا أمرك بمطالبتنا فعلام تطالبنا بما لا يأمرك الله به ولا رسوله. فسماهم بسبب اعتراضهم عليه بـ(أهل الردة)، وبعث لهم خالد بن الوليد فيٍ جيش فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وجعل ذلك كله فيئا قسمه بين أصحابه فقبلوا ذلك منه مستحلين له إلا نفر كرهوا ذلك وعزلوا سهمهم منهم، وكان عندهم ثم ردوه بعد ذلك إليهم.

وكانت خولة بنت جعفر منهم فبعثوا بها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فتزوجها ﷺ لأنها المختارة له في السماء ولم يتملكها.

أما الباقون فقد استحلوا فروج نسائهم، وهذا خالد بن الوليد المرسل لأمر الدين كما يزعمون كان مما فعله من العار أن قتل رئيس القوم مالك ابن نويرة وأخذ امرأته ووطأها من ليلته من غير استبراء لها[8].

ونسبها كالآتي: خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن تغلبة بن

---

[6] - طبقات ابن سعد: ج٥، ص٦٦.
[7] - ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٧٦.
[8] - الاستغاثة: ج١، ص٥.

يرنوع بن ثعلبة بن الدول بن حنفية بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[9].

❖ والده

أما والده فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو غني عن التعريف فهو مولى الموحدين.

❖ ولادته

تقول المصادر أنه ولد سنة ١٦ للهجرة[10].

❖ زوجته

وهي أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمية، ويقال أم جعفر، وهي تروي عن جدتها أسماء بنت عميس[11].

❖ أبناؤه

وقد ذكرت المصادر أن له من الأبناء ثمانية وهم على غير ترتيب: عبد الله، والحسن، والحسين، وإبراهيم، وعون، والقاسم، وجعفر، وعلي[12].

---

[9] - مسألتان في النص على علي (ع): ص١٥.

[10] - التنبيه والإشراف: ص٢٨٣، وتذكرة الخواص: ص١٦٩، البداية: ج٩، ص٣٨.

[11] - لوامع الحقائق: ص٢٥٧.

[12] - أنساب العرب وشرح إحقاق الحق: ج١٣، ص١١٩، ولوامع الحقائق: ص ١٥٧، والروض الآنق: ج٢، ص٢٩٠.

❖ من ينتسب به

وقال بعض النسابة إن من ينتسب له يسمى بالشريف، وقد كانت هذه التسمية (الشريف) حتى صدر الإسلام تطلق على الجميع ثم اختصت بذرية الإمامين الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾ ومحمد ابن الحنفية.

❖ صفاته

ذكر ابن سعد أنه: كان أحد أبطال صدر الإسلام[13]. وستقرأ الكثير عن بطولاته إقدامه وشجاعته، وإن كانت شجاعته ليست كشجاعة أخويه الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾ كما يقول المحقق الطباطبائي ﴿رحمه الله﴾[14] إلا أن له نصيباً من الشجاعة.

وذكر ابن خلّكان أنه كان ورعاً، وواسع العلم[15].

❖ أدب أبناء علي ﴿عليه السلام﴾

وقد تربى أبناء أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ بتربية السماء فكانوا مثالاً للخلق والقيم، وكذلك محمد ابن الحنفية، وفي الخبرٍ عن الإمام الباقر﴿عليه السلام﴾ أنه قال: ما تكلم الحسين ﴿عليه السلام﴾ بين يدي الحسن إعظاماً له، و لأتكلم محمد ابن الحنفية بين يدي الحسين ﴿عليه السلام﴾ إعظاماً له[16].

❖ حكمته في الجواب

سأل الناس محمداً لم كان أبوك يزج بك في المعارك بينما يضن بالحسن

---

[13] - الطبقات: ج٥، س٦٦.

[14] - ترجمة الإمام الحسن (ع) من طبقات ابن سعد: ص٦٧.

[15] - وفيات الأعيان: ج١، ص٤٤٩.

[16] - المناقب: ج٢٣، ص٢٦٩، البحار: ج٤٣، ص٣١٩، العوالم: ج١٦، ص١٠٠.

والحسين. قال لهم: كانا عينيه وكنت يده والمرء يقي عينيه بيده[17].

❖ قوته وشجاعته

وهذا أمر مفروغ منه في وصف شخصية ابن الحنفية ومع ذلك ننقل هذه الحادثة لعبرتها في تأكيد هذا الأمر، قالت المصادر:

إن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه، يزعم أن أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم، [وقال لها]: فانظر في قومك من يفوقهما في قوة هذا وطول هذا؟ فإن كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا، ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين.

فلما حضروا عند معاوية، قال: من لهذا القوي؟ فقالوا: ما له إلا أحد رجلين، إما محمد ابن الحنفية أو عبد الله بن الزبير، فجيء بمحمد ابن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ﷺ، فلما اجتمع الناس عند معاوية، قال له معاوية أتعلم فيم أرسلت إليك؟ قال: قال: لا. فذكره له أمر الرومي وشده بأسه.

فقال للرومي: إما أن تجلس أو أجلس لك، وتناولني يدك أو أناولك يدي، فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه وإلا فقد غلب. فقال له: ما تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومي: بل اجلس أنت.

فجلس محمد ابن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلا، فغلب الرومي عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب.

ثم قام محمد ابن الحنفية، فقال للرومي: اجلس. فجلس وأعطى

---

[17] - سير أعلام النبلاء، ج٤، ج١١٥، تأريخ الإسلام: ج٢٣، ص٢٩٦.

محمداً أيده فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفعه في الهوا، ثم ألقاه على الأرض، فسر بذلك معاوية سروراً عظيما، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاها لذلك الرومي الطبول فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط الأرض، فاعترف الرومي بالغلب، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية[18].

ويقول العلامة الأميني ﷺ: يستفيد القارئ من أمثال هذه الموارد من التأريخ أن أهل البيت ﷺ وشيعتهم كانوا هم المرجع لحل المشكلات مع كل الوجوه كما أن مولاهم أمير المؤمنين ﷺ كان هو المرجع الفذ فيها لدى الصدر الأول[19].

❖ علمه من أخويه وأبيه

ويروي أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: كان في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ صحيفة صغيرة، وأن علياً ﷺ دعا ابنه الحسن فدفعها إليه ودفع إليه سكيناً، وقال له: افتحها، فلم يستطع فتحها ففتحها له، ثم قال: اقرأ، فقرأ الحسن الألف والياء والسين واللام والحرف بعد الحرف، قال: ثم طواها، ودفعها إلى ابنه الحسين ﷺ فلم يقدر على فتحها ففتحها له علي ﷺ، فقال: اقرأ. فقرأها كما قرأها الحسن ﷺ، فدفعها إلى محمد ابن الحنفية فلم يقدر على أن يفتحها، ففتحها له، فقال له: اقرأ، فلم يستخرج منها شيئا، فأخذها وطواها، ثم علقها في ذؤابة السيف.

قال: فقلت لأبي عبد الله ﷺ: وأي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال ﷺ: هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف. وقال أبو بصير

---

[18] - البداية والنهاية: ج٢٨، ص١٠٣.

[19] - الغدير: ج٢، ص١٠٩.

قال أبو عبد الله ﷺ: فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة[٢٠].
وقال هو عن نفسه: أما إنا لا نعلم الغيب ولكنا علمنا شيئاً فعلمناه.

❖ أقوال في حقه

وقد كثر كلام العلماء في مدحه وإجلاله، ومما قيل في حقه:

١- أحد رجال الدهر في العلم والزهد والعبادة و الشجاعة وهو أفضل ولد الإمام علي ﷺ بعد الحسن والحسين ﷺ[٢١].

٢- لا بدع في ابن حيدرة إذا كانت له مواقف محمودة في الجمل وصفين والنهروان، وكانت الراية معه فأبلى بلاءً حسناً سجله له التأريخ وشكره الإسلام، وخطبته التي ارتجلها يوم صفين في مدح أبيه ﷺ وهو واقف بين الصفين تشهد له بالفصاحة والبلاغة على أتم معانيها، فهو جليل القدر عظيم المنزلة[٢٢].

٣- كان محمد ابن الحنفية فاضلاً عالماً[٢٣].

٤- وأما محمد ابن الحنفية فقد أقره الصادر والوارد والحاضر والبادي أنه كان واحد دهره ورجل عصره وكان أتم الناس تماما وكمالاً.

٥- محمد ابن الحفنية كثير العلم غزير المعرفة، وأنه كان مستودعاً لعلم الإمامة حتى سلم الإمامة إلى أهدها، وما فارق الدنيا إلا وقد أقرها في مستقرها[٢٤].

---

[٢٠] - بصائر الدرجات: ص٣٠٧.
[٢١] - أخبار السيد الحميري، ص١٦٤.
[٢٢] - الجمل: ص ١٧٩.
[٢٣] - منهاج الكرامة: ص١٧٥.
[٢٤] - الملك والنحل: ج١، ص١٣٣.

❖ تعلقه بالرسول ﷺ

يذهب البعض إلى أن محمد ابن الحنفية لم يدرك الرسول ﷺ بل ولد بعد شهادته إلا أنه سمع من أبيه الكثير عنه وتعلق به تعلقاً شديداً.

❖ حديث المعراج

وروى عن النبي ﷺ جملة من الأخبار و الأحاديث وأهمها حديث المعراج ذلك الحديث المظلوم الذي يهابه المخالفون لمذهب أهل البيت ﷺ، وقد روى روايته الخطيب في كتاب الأربعين مسنداً عن محمد ابن الحنفية، قال:

قال النبي ﷺ: لما عرج بي إلى السماء السادسة رأيت ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج في جبهته مكتبوب (أيد الله محمداً بعلي)، فبقيت متعجباً، فقال لي الملك: مم تعجب، كتب الله في جبهتي ما ترى قبل الدنيا بألفي عام.

وفيه أيضاً: إن النبي ﷺ قال: أتاني جبرائيل وقد نشر جناحيه فإذا فيهما مكتوب (لا إله إلا الله، محمد النبي) وكتب على الآخر: (لا إله إلا الله، علي الوصي)[٢٥].

❖ فتح مكة

حكى وروى عن النبي ﷺ بعد أحداث يوم فتح مكة، فقال حبيب بن أبي ثابت حدثني منذر الثوري قال: قال محمد ابن الحنفية: لما أتى الرسول ﷺ القوم من أعلى الوادي ومن أسفله، وملأ الأودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعواناً[٢٦].

---

[٢٥] - نهج الإيمان، ص٦٣٢.

[٢٦] - وقعة صفين: ص٢١٦.

وكانت له رؤية في قريش ممن كانوا في مكة يوم الفتح ، إذ روي عنه أنه قال : [إنهما لم يسلموا ولم يدخلوا الإسلام[27].

❖ عصر أمير المؤمنين عليه السلام

عاش جلّ عصر أبيه عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام وارتوى من عذب سيرته ، وكان من نتاج هذه المدرسة وثمارها.

❖ المطيع لأمر والده

روي أنه ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان أب وابن ، فقام إليها وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه ، وجلس بين أيديهما ، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لييس وجاء ليصب على يد الرجل ماءً ، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل ، فتمرغ الرجل في التراب ، وقال : يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟! قال : اقعد واغسل يدك فإن الله عز وجل وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك ، يريد بذلك في خدمه في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها.

فقعد الرجل ، فقال له علي عليه السلام : أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك ، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر ، ففعل الرجل.

فلما فرغ ناول الإبريق محمد ابن الحنفية ، وقال : يا بني ، لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده ، ولكن الله يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان ، لكن قد صب الأب على الأب فليصب

---

[27] - وقعة صفين : ص ٢١٦.

الابن على الابن، فصب محمد ابن الحنفية على الابن.

روى هذه الحادثة الإمام الحسن العسكري ﷺ وقال: فمن اتبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً[٢٨].

❖ رسول علي ﷺ في حرب الجمل

وروى الواقدي أن عبيد الله بن الحرث بن الفضل حدثه عن أبيه قائلاً: لما عزم الإمام علي ﷺ على المسير من المدينة لرد طلحة والزبير، بعث محمد ابن الحنفية ومحمد بن أبي بكر إلى الكوفة، وكان عليها أبو موسى الأشعري، فلما قدما عليه أساء القول لهما و أغلظ، وقال: إن بيعة عثمان لفي رقبة صاحبكم وفي رقبتي ما خرجنا منها، ثم قام على المنبر، وقال: أيها الناس إنا أصحاب رسول الله ﷺ ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها، إن عائشة كتبت إلى أن اكفني من قبلك وهذا علي بن أبي طالب قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين، فكسروا نبلكم واقطعوا أوتاركم، واضربوا الحجارة بسيوفكم، فقال محمد ابن الحنفية ﷺ لمحمد بن أبي بكر: يا أخي ما عند هذا خير، ارجع بنا إلى أمير المؤمنين ﷺ نخبره الخبر.

فلما رجعا إليه وأخبراه الحال، وقد كان كتب معهما كتاباً إلى أبي موسى الأشعري أن يبايع من قبله على السمع والطاعة، وقال له في كتابه أخرج الناس عن حجزتك وارفع عنهم سوطك واجلس بالعراق فإن خففت فاقبل وإن ثقلت فاقعد، فلم قرأ الكتاب قال: أثقل، ثم أثقل.

ولما بلغ علي ﷺ ما قال وصنع غضب غضباً شديداً وبعث عمار بن ياسر والحسن ﷺ وكتب معهم كتابا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

---

[٢٨] - الاحتجاج: ج٢، ص ٢٦٧.

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين

أما بعد:

فإن دار الهجرة تقلعت بأهلها فانقلعوا منها، وجاشت جيشان المرجل، وكانت فاعلة يوم ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجمل، ونبحتها كلاب الحوأب، وقامت الفتنة الباغية يقودها، يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه، وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله يحلفون لكم لترضون عنهم، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، اعلموا رحمكم الله إن الجهاد مفترض على العباد فقد جاءكم في داركم من يحثكم عليه، ويعرض عليكم وشدكم، والله يعلم أني لم أجد بدا من الدخول في هذا الأمر، لو علمت أن أحدا أولى به مني لما تقدمت إليه، وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم خرجا يطلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا، وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأبيا ذلك علي، وهما يعلمان أني لست بدون واحد منهما مع أني قد عرضت عليهما قبل أن يبايعاني إذا أحبا بايعت لأحدهما، فقالا: لا ننفس على ذلك بل نبايعك ونقدمك علينا بحق. فبايعا ثم نكثا والسلام[٢٩].

❖ حامل الراية في حرب الجمل

وأعطاه والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الراية في حرب الجمل، ولهذا الإعطاء دلالته، ومما أوصاه ﷺ قال له:

(تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك[٣٠]، أعر الله جمجمتك،

---

[٢٩] - الجمل: ص ١٣٩.

[٣٠] - أقسى ضرسك.

قد[31] في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه)[32].

ويذكر الشيخ المفيد أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد حادثة الرسالة رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من جمادى الأولى وكان على ميمنته مالك الأشتر وعلى ميسرته عمار بن ياسر، وأعطى الراية محمد ابن الحنفية ابنه وسار حتى وقف موقفا[33].

وكان عمره يوم ذاك عشرين سنة[34].

❖ حكاية حرب الجمل

وهنا لا بد وأن نوقف القارئ على حادثة حرب الجمل التاريخية لسببين: (الأول): حتى يتعرف على ما قاساه علي بن أبي طالب عليه السلام رجل الحق ممن نسبوا أنفسهم للإسلام والإسلام منهم بريء. و(الآخر): حتى يطلع القارئ على مواقف محمد ابن الحنفية وأدواره ويتأكد من ثباته على الحق، ونحن ننقلها من كتاب الشيخ المفيد رحمه الله، قال:

لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من سفك الدم الحرام رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إليك شخصت الأبصار، وبسطت الأيدي، و أفضت القلوب، وتقربت إليك بالأعمال، ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين).

ثم دعا ابنه محمد ابن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: (يا بني هذه راية لا ترد قط ولا ترد أبدا). قال محمد: فأخذتها

---

[31] - أي ثبتها.

[32] - نهج البلاغة: ج١، ص٤٣.

[33] - الجمل: ص ١٧٩.

[34] - التنبيه والإشراف: ص٢٨٣، تذكر الخواص: ص١٦٩، البداية والنهاية: ج٩، ص ٣٨.

والريح تهب عليها فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فأردت أن أمشي بها، فقال أمير المؤمنين ﷺ: قف يا بني حتى آمرك، ثم نادى ﷺ: (أيها الناس! لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثلوا بقتيل).. فبينما هو يوصي قومه إذ أظلهم نبل القوم، فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، فلما رآه قتيلا، قال: (اللهم اشهد).

ثم رمي ابن أو أخ لعبد الله بن بديل فقتل، فحمله عبد الله ومعه عبد الله بن العباس حتى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين ﷺ، فقال عبد الله بن بديل: حتى متى يا أمير المؤمنين تستدير أو ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلا رجلا؟ قد والله أعذرت إن كنت تريد الاعذار.

ثم قال محمد ابن الحنفية ﷺ: فقال لي أمير المؤمنين ﷺ: (رايتك يا بني قدمها) وبعث في الميمنة والميسرة ودعا بدرع رسول الله ﷺ فلبسه وحزم بطنه بعصابة أسفل من سرته.

❖ مساهمته في تجهيز والده

وتنقل المصادر أن أمير المؤمنين ﷺ لما دعا بدرعه ولبسه حتى إذا وقع من بطنه أمر ابنه محمد ابن الحنفية أن يحزمهما بعمامته، ثم انتضى سيفه فهزه حتى رضي به وغمده وتقلده[٣٥].

❖ بقية أحداث حرب الجمل

ثم دعا ﷺ ببغلته الشهباء، وهي بغلة رسول الله ﷺ فاستوى على ظهرها ووقف أمام صفوف أصحابه.

ووقف محمد ابن الحنفية بين يديه باللواء، وهو منشور مستعد

[٣٥] - الجمل: ص١٩١.

للحرب، فجاء قيس بن عبادة وأنشأ يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به❖ حول النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عينيه❖ أن لا يكون له من غيرها أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم❖ بالمشرفية حتى تفتح البلد

وصف أصحاب عائشة صفوفهم وجاؤوا بالجمل عليه الهودج وفيه عائشة، وخطامه في يد كعب بن سود، وقد تقلد المصحف والأزد وبنو ضبة قد أحاطوا بالجمل، وعبد الله بن الزبير بين يدي عائشة، ومروان بن الحكم عن يمينها والزبير يدبر العسكر، وطلحة على الفرسان، ومحمد بن طلحة على الرجالة.

❖ أمير المؤمنين عليه السلام يدعو محمدا

ويروي الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ مشايخ أهل البصرة، قال: لما صف علي بن أبي طالب عليه السلام صفوفه أطال الوقوف والناس ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فصاحوا حتى متى، فصفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: (عباد الله لا تعجلوا فإني كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يستحب أن يحمل إذا هبت الرياح).

قال: فأمهل حتى زالت الشمس، وصلى ركعتين ثم قال: (ادعوا ابني محمدا) فدعي له محمد ابن الحنفية، فجاء وهو يومئذ ابن تسعة عشر سنة[٣٦]، فوقف بين يديه ودعا بالراية فنصبت، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

(أما هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبدا وإني واضعها اليوم في أهلها).

ودفعها إلى ولده محمدا، وقال: تقدم يا بني، فلما رآه القوم قد أقبل

---

[٣٦] - في بعض المصادر، كان له عشرين سنة.

والراية بين يديه فتضعضعوا، فما هو إلا أن الناس التقوا ونظروا إلى عزة أمير المؤمنين عليه السلام[37].

❖ تقدم ابن الحنفية بالراية

فقال محمد ابن الحنفية: قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: (قدم اللواء). فقدمته؛ وزحف المهاجرون والأنصار، فلما رآني القوم قد زحفت باللواء بارزا عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد، فوقفت مكاني اتقيت منهم، وقلت: ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين، ثم أقدم، فلم أشعر إلا وأمير المؤمنين عليه السلام قد ضرب بين كتفي بيده، ثم أخذ اللواء مني بيده ونادى: (يا منصور أمت)[38]، فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم وقد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم وألقى بعضهم ببعض وتزايلوا وقد رأت عائشة موضع كل فريق منهم[39].

❖ وحمت المعركة

تقول الأخبار: وتقدم عمار ومالك الأشتر مصلتين سيفهما نحو القوم، ونادى أمير المؤمنين عليه السلام: (يا محمد بن أبي بكر! إن صرعت عائشة فوارها وتول أمرها فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا، وأمير المؤمنين عليه السلام واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضعهم، و رجعت إليهم نفوسهم، ونادوا البراز، فتقدم رجل من بني عدي أمام الجمل وبيده السيف وهو يقول:

---

[37] - الجمل: ص ١٨٩.

[38] - قال ابن الأثير: هو أمر بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشعار، النهاية: ج٤، ص٣٧١.

[39] - الجمل: ص ١٨٣.

أضربكم ولو أرى عليا عممته أبيض مشرفيا
أريح منه قومنا عديا

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ يقال له أمية العبدي، وهو يقول:

هذا علي والهدى سبيله والرشد فيه والتقى دليله
من يتبع الحق يكن خليله

ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطأه العدوي وضربه العبدي فقتله، فقام مقامه رجل يقال له أبو الحرباء عاصم بن مرة من أصحاب الجمل وهو يقول:

أنا أبو الحرباء واسمي عاصم❖ وأمنا أم لها محارم

فشد عليه، وكانت المعركة حامية الوطيس بمثل تلك المواقف المتقابلة والجموع المتحاربة.

فلما رأي أمير المؤمنين ﷺ جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك، نادي أصحاب ميمنته أن يميلوا على ميسرة القوم، ونادى أصحاب ميسرته أن يميلوا على ميمنتهم، ووقف ﷺ في القلب، فما كان بأسرع من أن تضعضع القوم، وأخذت السيوف من هاماتهم مأخذها، فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة، وأصيب من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ نفر كثير.

وأحاطت الأزد بالجمل يقدمهم كعب بن شود وخطام الجمل بيده، واجتمع إليهم من كان انفتل بالهزيمة، ونادت عائشة: يا بني الكرة الكرة اصبروا فإني ضامنة لكم الجنة. فحفوا بها من كل جانب واستقدموا، حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين ﷺ ولفت عائشة نفسها ببردة كانت معها، وقلبت يمينها على منكبها الأيسر، والأيسر إلى الأيمن كما كان رسول الله

ﷺ يفعل عند الاستسقاء.

ثم قالت: ناولوني كفا من تراب، فناولوها فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، وقال: شاهت الوجوه كما فعل رسول الله ﷺ بأهل بدر، قال: وجر كعب بن شود بالخطام، وقال: اللهم إن أردت أن تحقن الدماء وتطفي هذه الفتنة فاقتل عليا.

ولما فعلت عائشة من السب المبرح وقلب البرد وحصب أصحاب أمير المؤمنين ﷺ بالتراب، قال ﷺ: (وما رميت إذ رميت يا عائشة ولكن الشيطان رمى وما يعودن وبالك عليك إن شاء الله) وأنشدت أم ذريح العبدية وهي من شيعة أمير المؤمنين ﷺ:

عائش إذ جئت لتهزمينا وتنشري البر لتغلبينا

وتقذفي بالحصيات فينا تصادفي ضربا وتنكرينا

بالمشرفيات إذ غزينا نسفك من دمائكم ماشينا.

ومرة أخرى قال الإمام علي ﷺ لولده محمد: يا بني تقدم باللواء[40]، أو: (تقدم بالراية، واعلم أن الراية إمام أصحابك فكن متقدما يلحقك من خلفك فإن كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع إليك)[41].

❖ حرب الجمل مدرسة لابن الحنفية

هناك صور كثيرة تدلل على أن الإمام علي ﷺ كان يبني ولده ويعلمه في كل المحطات وبالأخص المعارك التي شارك فيها.

من تلك الصور ما رواه الواقدي، قال ابن جريح: كان محمد ابن الحنفية يحمل راية أمير المؤمنين ﷺ أبيه يوم الجمل، ورأى منه بعض

[40] - الجمل: ص ١٨٥، ١٨٦.

[41] - المصدر المتقدم: ص١٩١.

النكوص، فأخذ الراية منه، قال محمد: فأدركته وعالجته على أن يردها، فأبى علي طويلا ثم ردها، وقال: خذها أحسن حملها، وتوسط أصحابك ولا تخفض عاليها، واجعلها مستشرفة يراها أصحابك، ففعلت ما قال لي. فقال عمار: يا أبا القاسم ما أحسن ما حملت الراية اليوم. فقال له أمير المؤمنين ﷺ: بعد ماذا ؟ فقال عمار: ما العلم إلا بالتعلم[٤٢].

❖ دفع شبهات في حرب الجمل

وقد أحاط البعض شخصية محمد ابن الحنفية في معركة الجمل ببعض الشبهات إثر النقولات الخاطئة، إلا أن أعلامنا قد ردوا على تلك الشبهات بما ينفض الغبار عن تلك الشخصية.

فمثلا يقول الشريف المرتضى ما روي عن محمد ابن الحنفية ﷺ من قوله: حملت يوم الجمل برمحي فلما غشيته، قال: أنا على دين عمر بن أبي طالب، فعلمت أنه يريد عليا فأمسكت عنه، غير أن هذا إنما يجوز ويلتبس على من شملته الغفلة وغره الجهل وليس يشبه في جواز دخول الشبهة وتمام الحيلة حال النص[٤٣].

❖ قائد في حرب صفين

وعندما استعد لمواجهة عسكر معاوية بن أبي سفيان، وقبل أن يتحرك إليهم، أوصاه والده أمير المؤمنين ﷺ بما يلي:

(يا بني .. امش نحو هذه الراية مشيا وئيدا على هيئتك، حتى إذا شرعت في صدورهم الأسنة فأمسك حتى يأتيك رأيي).

وبالفعل فقد ترسم أمر والده ووصيته حرفيا، إذ يقول سليم بن قيس

---

[٤٢] - الجمل: ص ١٩٢.

[٤٣] - الشافي في الإمامة: ج٢، ص ١٨١.

الهلالي: ففعل، وذلك بعد أن ثارت على الأمير عصابة عددها أربعة آلاف من معسكر معاوية، فأعد مثلهم، فلما دنا محمد وأشرع الرماح في صدورهم أمر الإمام علي عليه السلام الذي كان أعدهم أن يحملوا معهم، فشدوا عليهم، ونهض محمد ومن معه في وجوههم فأزالوهم عن مواقفهم وقتلوا عامتهم[٤٤].

❖ ومقاتل صلب

واستمر في القتال شديدا صلبا لا يتراخى ولا يتوانى، حتى جاء الغد، يقول نصر بن مزاحم: فخرج هو وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشد القتال.

ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد ابن الحنفية أن أخرج إلي أبارزك. قال له: نعم. ثم خرج إليه يمشي، فبصر به الإمام علي عليه السلام فقال: من هذان المتبارزان؟ فقيل له: ابن الحنفية وابن عمر. فحرك علي عليه السلام دابته ثم دعا محمدا فوقف له، فقال: امسك دابتي. فأمسكها له، ثم مشى، فقال: أنا أبارزك فهلم إلي. قال: ليس في مبارزتك حاجة. قال: فرجع ابن عمر وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: منعتني من مبارزته، فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله، وقال: يا بني، لو بارزته أنا لقتلته، ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله وما كنت آمن أن يقتلك. ثم قال: يا أبه، أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدو الله؟ والله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه[٤٥].

وهذه الحادثة لا تضعف من النقولات التي تحكي شجاعة ابن الحنفية بل كل الذي تكرسه فينا هو حجم حب الإمام علي عليه السلام لابنه محمد

---

[٤٤] - كتاب سليم بن قيس: ص ٣٤١، ٣٤٢.
[٤٥] - وقعة صفين: ص ٢٢١.

وعاطفته الأبوية الجياشة.

❖ وصف موكب الأمير ﵇

وروى البعض في وصف الأمير ﵇ وابنه محمد ابن الحنفية في حرب البصرة خبرا يحمل دلالاته، قال: مر بنا موكب تاسع فيه خلق عظيم، مكملين بالسلاح والحديد مختلفي التيجان والرايات، تقدمهم راية كبيرة عظيمة في أولهم فارس كأنما قد كسر وجبر، وكأن على رؤوسهم الطير، فعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن شماله (أو يسره) مثله، وبين يديه شاب ليس هو ببعيد منهما. فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: أما الأوسط فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، وأما الشاب الذي على يمينه ابنه الحسن ﵇ والذي عن شماله ابنه الحسين ﵇، وأما الذي بين يديه حامل الراية فابنه محمد ابن الحنفية[٤٦].

❖ بعد وقعة النهروان

ويروى حادثة جرت مع الأمير ﵇ بعد منصرفه من وقعة النهروان إذ جاءه رأس من اليهود، وكان ﵇ جالسا في مسجد الكوفة، فقال رأس اليهود: يا أمير المؤمنين؛ إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، فإن شئت سألتك، وإن شئت أعفيتك؟ قال ﵇: سل ما بدا لك يا أخا اليهود. فقال: إنا نجد في الكتاب إن الله عزوجل إذا بعث نبيا أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده، وأن يعهد إليهم فيه عهدا يحتذى عليه ويعمل به في أمته من بعده، وإن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرة ؟ وإلى ما يصير آخرا أمر الأوصياء إذا رضي محنتهم؟

---

٤٦ - الجمل للمدني: ص ١٢٥.

فقال له علي عليه السلام: والله الذي لا إله إلا غيره الذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى، لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه لتقرن به؟ قال: نعم. قال عليه السلام : والذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى عليه السلام لئن أجبتك لتسلمن؟ فقال: نعم.

فقال علي عليه السلام: إن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن ليتبين طاعتهم، فإذا رضي طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم، وتصير طاعة الأوصياء في أعناق الأمم ممن يقول بطاعة الأنبياء، ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء عليهم السلام في سبعة مواطن ليبلو صبرهم، فإذا رضي محنتهم ختم له بالسعادة ليلحقهم بالأنبياء وقد أكمل لهم السعادة. قال له رأس اليهود: صدقت يا أمير المؤمنين، فأخبرني كم امتحنك الله في حياة محمد من مرة، وكم امتحنك بعد وفاته من مرة، وإلى ما يصير آخر أمرك؟

فأخذ علي عليه السلام بيده، وقال: انهض بنا أنبيك بذلك يا أخا اليهود. فقام إليه جماعة من أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك معه. فقال عليه السلام: إني أخاف أن لا يحتمله قلوبكم؟ قالوا: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأمور بدت لي من كثير منكم. فقام إليه الأشتر، فقال: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي لنبي سواك وإنا لتعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا صلى الله عليه وآله نبيا سواه، وإن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة نبينا.

عند ذلك يقول محمد جلس أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ يخبرهم[47] فسلم رأس اليهود بكلامه عليه السلام.

❖ جرأته في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام

---

[47] - غاية المرام: ج٤، ص٣١٧ عن الخصال: ص٣٧٦.

يذكر لنا التأريخ مواقف لابن الحنفية في الدفاع عن علي بن أبي طالب عليه السلام كإمام معصوم لا كأب على ما يعتقد البعض وهنا ننقل هذه الحادثة ليتضح الأمر.

يروي عروة أن محمدا كان في دمشق ديار الأمويين، وسمع رجلا يقول: هذا ابن أبي تراب، فأسند ظهره إلى الجدار جهة المحراب في جامع دمشق، ثم قال: احتسئوا ذرية النفاق، وحشوة النيران، وحصبة جهنم، عن البدر الزاهر، والنجم الثاقب، واللسان الناقد، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجها فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا.

أتدرون أي عقبة تقتحمون، أخو رسول الله تستهدفون، ويعسوب الدين تلمزون، فبأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون، وأي حرف (أو حرق) بعد ذلك تدفعون، هيهات برز الله (أو لله) في السيف، وفاز بالخصل، واستولى على الغاية (أو الغائب)، وأحرز الحظ وانحسرت عند الأبصار وانقطعت دونه الرقاب وقوع (أو وقوع) الذروة العليا وكبرت والله من الأمة التبعة (أو السعي)، وعناه الطلب، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد.

أقبلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم، وسدوا المكان الذي سدوا، وأبي سيد قلمة أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله إذ سفعوا، وشفيق نبيه إذ حصلوا ونديد هارون من موسى عليه السلام إذ مثلوا، وذي قربى كبيرها إذا امتحنوا، و المصلي للقبلتين إذا انحرفوا، والمشهود (أو المشهود) له بالإيمان إذا كفروا، والمدعو إلى الخير إذا نكلوا، والمندوب لعهد المشركين إذا نكثوا، والخليفة على المهاجرين إذا جزعوا والمستودع الأسرار ساعة الوداع إذا حجبوا:

هذا المكارم لاقعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبو إلا وأبى يبعد من كل علاء وشناء.

(وللخطبة تتمة وهي طويلة).

ثم قال: فبأي آلاء أمير المؤمنين تختبرون (أو تجترون) وعن أمر من حديثه تأثرون، وربنا المستعان على ما تصفون والحمد لله رب العالمين

قال عبد المحمود: فهذا قول محمد ابن الحنفية في علي ﷺ في بلاد الأعداء، وفي محافل الحساد، ذوي الاعتداء وأعداء الدين، لا يقول مثله لمثلهم ما عرفوه وتحققوه، وكان علي اليقين أنه إذا قال ذلك أنهم صدقوه، والخلافة إذ ذلك في يد أعداء الدين الذي يجاهرون بلعن أمير المؤمنين ﷺ، فهل تجد مثل هذه الأوصاف في أحد من القرابة والصحابة أو اجتمع مثلها لأحد بعد محمد ﷺ[48].

❖ من عنده علم الكتاب؟

هذا العنوان هو واحد من الرهانات ما بين محبي أهل البيت ﷺ وشيعتهم وما بين النواصب الذين يحاولون نفي كل الفضائل عن علي بن أبي طالب ﷺ فكيف بهذه الفضيلة، ومحمد ابن الحنفية كان في قمة المدافعين عن الثوابت ومنها هذا الثابت فكان يقول بأن الذي عنده علم الكتاب هو علي ﷺ.

روى الثعلبي في تفسيره في إسناد متصل عن عبد الله بن عطاء، قال: كنت جالسا مع أبي جعفر في المسجد فرأيت عبد الله بن سلام، فقلت: هذا الذي عنده علم الكتاب، فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب ﷺ.

وروى هذا الحديث أبو نعيم الحافظ عن محمد ابن الحنفية[49].

❖ سلام الملائكة على علي ﷺ

وروى ابن شهر آشوب عن ابن مسعود والفلكي في التفسير بإسناده

---

[48] - الطرائف: ص ٩٠.

[49] - بناء المقالة الفاطمية: ص ٢٢٠.

عنه أنه روى هذا الخبر في فضل أبيه ﷺ ، قال:

بعث رسول الله ﷺ عليا ﷺ في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده، فلما أتى القليب وملأ القربة وأخرجها جاءت ريح فأهرقته، ثم عاد إلى القليب فملأها فجاءت ريح فأهرقته، وهكذا في الثالثة، فلما كانت الرابعة ملأها فأتى بها النبي ﷺ وأخبره بخبره فقال رسول الله ﷺ: أما الريح الأولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك. والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثالثة اسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك.

وفي رواية: وما أتوك إلا ليحفظوك.

وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث، وكان يقول: لعلي في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب ثم يروي الخبر[50].

❖ علي ﷺ الطريق إلى الجنة

ومما رواه في أبيه أمير المؤمنين ﷺ ما نقله عن جابر، قال: إن الله تعالى جعل عليا قائد المسلمين إلى الجنة به يدخلون الجنة وبه يدخلون النار وبه يعذبون يوم القيامة. قلنا: وكيف ذلك يا رسول الله. قال: بحبه يدخلون الجنة وببغضه يدخلون النار ويعذبون[51].

❖ صدقة السر

روى العلامة الزمخشري عن محمد ابن الحنفية أنه قال: كان أبي يدعو قنبرا بالليل فيحمله دقيقا وتمرا فيمضي به إلى أبيات قد عرفها ولا يطلع عليها أحدا فقلت له: يا أبه، ما يمنعك أن تدفع إليه نهارا.

---

٥٠ - مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص ١٨٠.

٥١ - ينابيع المودة: ص٢٥٢.

قال: يا بني إن صدقة السر تطفئ غضب الرب[52].

❖ مع رحيل علي عليه السلام

وكان مع أبيه في أكثر المحطات حتى لحظة استشهاده، وقيل إنه غسل والده عند شهادته[53].

وروي عنه أنه قال: ثم أخذنا في جهازه و كان الحسن عليه السلام يغسله والحسين عليه السلام يصب الماء عليه وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلبه بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يمينا وشمالا وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر[54].

❖ محمد يرث أبيه علما

تقول بعض الأخبار أنه لما مات أمير المؤمنين عليه السلام طلب محمد ابن الحنفية من أخويه الحسن والحسين ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة لو أطلعاه على غيرها لهلك.

قيل إنه كان في هذه الصحيفة ذكر لدولة بني العباس فصرح ابن حنفية لعبد الله بن عباس بالأمر[55].

❖ من وصايا الأمير عليه السلام له

ومما قاله عليه السلام له:

- يا بني إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة

---

[52] - ربيع الأبرار: ص ٢١٠.

[53] - العدد القوية: ص ٢٤٢.

[54] - بحار الأنوار: ج٤٢، ص ٢٩٤.

[55] - شرح نهج البلاغة: ج٧، ص ١٤٩.

للدين ، مدهشة للعقل ، داعية للمقت[٥٦].

- تواضعك في شرفك أشرف لك من شرف آبائك[٥٧].

- ووجد كتاب بخط الكمال العلوي النيشابوري في خزانة أمير المؤمنين عليه السلام فيه وصية لابنه محمد عبارة عن أبيات شعرية ، يقول فيها :

بني إذا ما جاشت الترك فانتظر ... ولاية مهدي يقوم فيعدل

وذكر ملوك الظلم من آل هاشم ... وبويع منهم من يلذ ويهزل

صبي من الصبيان لا رأي عنده ... ولا هو ذوجد ولا هو يعقل

فثم يقوم القائم الحق فيكم ... وبالحق يأتيكم وبالحق يفعل

سمي نبي الله نفسي فداؤه ... فلا تخذلوه يا بني وعجلوا[٥٨].

- واعلم يا بني أنه لو كان إله آخر لأتتك رسله ولرأيت آثار مملكته[٥٩].

- وصول معدم خير من مثر جاف[٦٠].

وقال الخاجوئي في هذه الوصية : المراد أن من يصلك أو يرفق بك ويحسن إليك يدا أو لسانا أو هما معا فهو مع وصف فقره وقلة ماله خير ممن يقطعك ويترك برك والإحسان إليك مع وصف ثروته وكثرة ماله ، فليكن الأول عندك حقيقا بالأخوة والخلة دون الثاني[٦١].

- إياك والاتكال على الأماني[٦٢].

---

[٥٦] - نهج البلاغة : ج٤ ، ص٧٦.
[٥٧] - الاعتقادات : ص ١١٢.
[٥٨] - الصراط المستقيم : ج٢ ، ص٢٦٤.
[٥٩] - نهج البلاغة : ص ٩٠٩.
[٦٠] - بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص٢٤٠.
[٦١] - جامع الشتات : ص ١٧٨.
[٦٢] - من لا يحضر الفقيه : ج٤ ، ص ٢٧٥.

❖ وصية خاصة بأولاده

وقد أوصاه أمير المؤمنين ﵇ وصية خاصة بأخويه. قال له: أوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا توثق أمرا دونهما (أو تقطع أمرا دونهما). ولما أوصى أخويه الحسن والحسين ﵉ به، قال لهما ﵉:

أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد كان أبوكما يحبه[٦٣].

❖ عصر الإمام الحسن ﵇

وأدرك عصر أخيه الإمام الحسن ﵇ وكان ملتزما بمحبته والدفاع عنه والالتزام بإمامته والاستماع إلى وصاياه عند رحيله.

❖ لقاء قبل الرحيل

لما اشتكى الإمام الحسن ﵇ من السم وعرف أن الأجل قد حان، وهو في المدينة أرسل على أخيه محمد الذي كان في ضيعة له وطلبه، فجاء من فوره، ولما دخل عليه جلس عن يساره وكان الحسين ﵇ عن يمينه، ففتح الحسن ﵇ عينه فرآهما، فقال للحسين ﵇: يا أخي أوصيك بمحمد أخيك خيرا فإنه جلدة ما بين العينين، ثم قال: يا محمد وأنا أوصيك بالحسين كأنفه، ووازره[٦٤].

❖ أوصيك يا محمد بالحسين ﵇

وتذكر الأخبار أن الإمام الحسن ﵇ عندما حضرته الوفاة إلتفت إلى أخيه محمد، وقال: يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد

---

[٦٣] - شرح إحقاق الحق: ج١٨، ص ٤١.

[٦٤] - الأخبار الطوال: ص ٢٢١.

وفاة نفسي ومفارقة روحي وجسمي إمام من بعدي، وعند الله في الكتاب الماضي وراثة النبي أصابها في وراثة أبيه وأمه، علم الله أنكم خير خلقه وصطفى منكم جدنا محمدا ﷺ واختار محمد عليا واختارني علي للإمامة واخترت أنا أخي الحسين لها.

ثم قال له: يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت السم ولم أسقه مثل مرتي هذه وأنا ميت من يومي[65].

❖ تأثره بمقتل أخيه الإمام الحسن عليه السلام

وعندما استشهد أخوه الإمام الحسن عليه السلام تأثر تأثرا شديدا، ورثاه، ومما قاله في رثائه:

سأبكيك ما ناحت حمامة آبكة وما خضر في دوح الحجاز قضيب[66].

وكان مشاركا مع الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس في إدخال الإمام الحسن عليه السلام في القبر[67].

وتنقل المصادر أيضا أنه وقف على قبر أخيه عليه السلام خنقته العبرة، ثم نطق فقال: رحمك الله أبا محمد، فلئن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمن تفنك، وكيف لا يكون ذلك وأنت بقية ولد الأنباء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء، وغذتك أكف الحق وربيت في حجر الإسلام، فطبت حيا وطبت ميتا وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيار لك[68].

---

[65] - شرح إحقاق الحق: ج ٣٢، ص ٥٣٦.

[66] - مروج الذهب: ج٢، ص ٤٢٩.

[67] - العقد الفريد: ج٢، ص٩، وعنه الغدير: ج٥، ص ١٧١.

[68] - شرح إحقاق: ج٢٦، ص٦٠٢.

❖ موقفه من عائشة

ولم يكن يرتضي عائشة بنت أبي بكر لأفعالها وما فعلته من الفتنة التي أدت إلى حروب بين المسلمين وارتداد بعضهم، لذا فإنه لما أرادوا دفن الإمام الحسن ﷺ عند النبي ﷺ كما أوصى، وكان قد أخبر ﷺ بأن عائشة ستمنع، وأوصى أنها إذا فعلت فليدفن في البقيع جنب أمه الزهراء ﷺ.

وكان هذا الواقع فمروان أخبر عائشة فخرجت على بغلة لتمنع من دفن الإمام ﷺ وقالت: إن دفن الحسن هناك فإن هذا يحط من قدر الرسول ﷺ.

فغضب محمد ابن الحنفية وقال لها: خرجت على أبي وأنت على جمل واليوم جئت تشتمينا وأنت على بغلة، وإن خرجت غدا لخزي الإسلام فستكونين على فيل.

فغضبت عائشة من ذلك والتفتت إلى بني أمية و سألتهم كيف أنها تخاطب بمثل ذلك وهم سكوت، فسألوها: وما نفعل. فقالت: ارموا جنازة الحسن بالسهام، ففعلوا، حتى سل منها سبعون نبلا فدفنوه في البقيع[٦٩].

❖ عصر الإمام الحسين ﷺ

وكذلك أدرك عصر أخيه الإمام الحسين ﷺ بكل أحداثها وكان ملتزما بإمامته وتوجيهه، وترسم نهجه.

❖ وصفه للحسين ﷺ

وقال في حق أخيه الإمام الحسين ﷺ: إن الحسين أعلمنا علما وأثقلنا

---

[٦٩] - شرح إحقاق الحق: ج٣٣، ص ٥٤٤.

حلما، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحما، كان إماما فقيها[70].

❖ مشاورة المعصوم عليه السلام في أمر القيام

كانت تسكن محمد ابن الحنفية الهواجس الثورية وكان يرتقب كل لحظة قياما ضد الظلم و الطغيان والثأر للرسالة، ولكن التأريخ يحدثنا أنه لم يكن يترك لنفسه لحظة تحركه فيها رياح القيام بل كان يرتقب قياما مشروعا بإذن الإمام المعصوم عليه السلام.

وهذه حادثة من حوادث كثيرة ينقلها المؤرخون تدلل على ما نقوله، قال ابن سعد: في عهد الحسين عليه السلام كان أهل الكوفة يكتبون إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية وكان يأبى ذلك، فقدم منهم قوم إلى محمد ابن الحنفية فطلبوا إليه أن يخرج معهم فأبى وجاء إلى الإمام الحسين عليه السلام فأخبره بما عرضوا عليه، وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا منا، ويشيطوا دماءنا[71].

❖ وأوصاه بأمر

وعند ذلك كتب إليه الإمام الحسين عليه السلام كتابا يوصيه فيه بالاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[72].

❖ علاقته بالحسين عليه السلام

وينقل لنا التأريخ ما يؤكد على الارتباط العاطفي بين ابن الحنفية وأخيه الإمام الحسين عليه السلام والذي بلغ حدا أنه عندما بلغ ابن الحنفية خبر

---

[70] - بحار الأنوار: ج١، ص ١٤٠.

[71] - ترجمة الإمام الحسين (ع) من طبقات ابن سعد: ص ٥٣.

[72] - معجم المحاسن والمساوئ: ص٤٩.

عزم الإمام الحسين ﷺ للخروج إلى كربلاء انتابه القلق الشديد وحاول صرف أخيه عن هذا الخروج.

تنقل الأخبار أنه لما كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الإمام الحسين ﷺ كتابا يحذره من أهل الكوفة ويناشده الله أن لا يشخص إليهم، فكتب إليه ﷺ: أني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمرأنا ماض له ولست بمخبر بها أحدا حتى آلاقي عملي. فانبرى له جماعة ينهونه عن أمر الخروج ينقل ابن الأثيران من بينهم كان محمد ابن الحنفية بالإضافة إلى ابن عمر وابن عباس وآخرين [٧٣].

❖ عشقه لليمن

وكان محمد ابن الحنفية يعرف خصائص الأرض اليمانية وأهلها، لذا اقترح على أخيه الحسين ﷺ أن يذهب إلى اليمن فقال له الإمام الحسين ﷺ: سأنظر في المسألة[٧٤].

ولكن الأمر الإلهي كان بأن يتوجه الإمام الحسين ﷺ إلى العراق.

❖ مصيبتك يا حسين عندنا أعظم

ولما بعث الإمام الحسين ﷺ إلى المدينة وقدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم، تبعهم محمد ابن الحنفية فأدرك الإمام الحسين ﷺ في مكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الإمام الحسين ﷺ أي يقبل.

تقول بعض الأخبار إن محمدا عند ذلك حبس ولده ولم يبعث مع

---

[٧٣] - أسد الغاب: ج١، ص٢١، ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٥٩.

[٧٤] - مقتل الحسين (ع) للمقرم: ص١٦٧.

أخيه أحدا منهم، فقال له الحسين ﷺ: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟! فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم[٧٥].

❖ استفساراته عن الخروج

وعندما قرر الإمام الحسين ﷺ أن يخرج، قال له محمد: ما حداك على الخروج عاجلا؟ قال له الحسين ﷺ: أتاني رسول الله ﷺ وقال لي: يا حسين اخرج، شاء الله أن يراك قتيلا. قال محمد: إنا لله وإنا إليه راجعون.. فما معنى حملك هذه النسوة معك؟ فأجابه الحسين ﷺ: إن الله شاء أن يراهن سبايا.

❖ مبرراته لعدم الخروج مع الحسين ﷺ

قال في هذا الأمر لأخيه الحسين ﷺ: إني والله ليحزنني فراقك وما أقعدني عن المسير معك إلا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فوالله يا أخي ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح، فوالله لا فرحت بعدك أبدا ثم بكى شديدا حتى غشي عليه، فلما أفاق من غشيته، قال: يا أخي أستودعك الله من شهيد مظلوم، وودعه الحسين ﷺ وسار من المدينة[٧٦].

❖ تأثره لأخيه الحسين ﷺ قبل عاشوراء

وورد في بعض المصادر أنه لما بلغ محمد ابن الحنفية سير الإمام الحسين ﷺ إلى كربلاء وكان يتوضأ وبين يديه طشت بكى حتى ملأه من دموعه،

---

[٧٥] - ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٦١.

[٧٦] - معالي السبطين: ج١، ص٢٢٩، أسرار الشهادة: ص٢٤٦.

ثم نادى: واحسينا، واخليفة الماضين وثمال الباقين، ثم وافاه هو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وألحوا عليه بالتخلف والإقامة، وقالوا: والله، يا بن رسول الله لأن خرجت وأصابوك بسوء لم يهابوا بنو أمية بعدك أحدا، فأنشدهم يقول:

سأمضي وما في الموت عار على الفتى❖ إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه❖ وفالق مثبورا وخلف مجرما

فإن عشت لم أذمم وإن مت لم ألم❖ كفى بك ذلا أن تعيش فترغما

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾[77]. فخرجوا من عنده وهم يقولون: الله ورسوله وابن رسوله أعلم[78].

❖ تأثره بمقتل أخيه

وقد وردت أخبار كثيرة تدلل على أن محمد ابن الحنفية تأثر تأثرا شديدا باستشهاد أخيه الإمام الحسين ﷺ، منها:

ما روي من أن ابن عباس وعنده محمد ابن الحنفية قد جاءهم نعي الحسين ﷺ والناس يعزونهم، وقال ابن صفوان: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي مصيبة، يرحم الله أبا عبد الله وآجركم الله في مصيبتكم، فقال ابن عباس: يا أبا القاسم ما هو إلا أن خرج من مكة فكنت أتوقع ما أصابه، قال ابن الحنفية: وأنا والله، فعند الله نحتسبه، ونسأله الأجر وحسن الخلف[79].

---

[77] - الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

[78] - شرح إحقاق الحق: ج٢٧، ص٢٢١.

[79] - ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٨٦.

وأخذ يبكي عليه بكاء شديدا[٨٠].

❖ رأي أخيه العباس فيه

أما أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب ﷺ باب الحوائج وساقي عطاشى كربلاء، وحامل القربة والراية في عاشوراء الحسين ﷺ، وقطيع الكفين والرجلين، والمدافع عن الإسلام المحمدي الأصيل والذي لم نجد أحدا في ماضينا وحاضرنا ذكره إلا وشهد له بالوفاء والبطولة والدين.

هذا الرجل وإن لم يكن عنده غيب المعصومين ﷺ إلا أنه نال قدرا منه كما نال قدرا من عصمتهم فقرن بالفضل والعلم بهم.

وعلى ضوء هذا المدخل نقرأ رؤيته في أخيه محمد من خلال تلك الحادثة التأريخية التي وقعت آخر حياته الشريفة وفي أرض كربلاء عندما قال لأخويه عبد الله وجعفر: تقدما فإن قتلتما ورثتكما، وإن قتلت بعدكما ورثني ولدي، وإن قتلت قبلكما ثم قتلتما ورثكما محمد ابن الحنفية، فتقدما[٨١].

ومفردة الميراث هنا وورثتكما وورثكما لا تنصرف من لسان مثل العباس إلى المال بقدر ما تنصرف إلى جملة من القيم والمبادئ والمعارف.

❖ فلسفة للشهادة في كربلاء

كانت لمحمد ابن الحنفية رؤية فلسفية خاصة في موضوع شهداء كربلاء من أهل البيت ﷺ ترتبط بنور الزهراء ﷺ قبل خلق هذا العالم ورابطة هذا

---

[٨٠] - أنساب الأشراف: ص٥٢، نور العين: ص٩٧ ينابيع المودة ص٣٣٤، تذكرة الخواص: ص١٣٧.

[٨١] - ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٧٦.

النور بعالم وجودنا والوجود في عصر حادثة كربلاء، تتضح هذه الرؤية الفلسفية فيما نقله الفضل بن دكين عن فطر عن منذر أنه قال: كنا إذا ذكرنا الحسين بن علي ﷺ ومن قتل معه، قال محمد ابن الحنفية: قد قتلوا سبعة عشر شابا كلهم قد ارتكضوا في رحم فاطمة ﷺ[82].

وفي خبر آخر أنه قال: قتل مع الحسين بن علي ستة عشر كلهم من ولد فاطمة الزهراء ﷺ[83].

❖ وعن الأصحاب

وأما عن أصحاب الإمام الحسين ﷺ في كربلاء والذين استشهدوا معه فقد قال فيهم: وإن أصحابه ﷺ عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم[84].

❖ لماذا لم يشارك في كربلاء؟

هذا السؤال طالما أوجب اللغط على محمد ابن الحنفية وقلل من احترامه في بعض الأوساط، إلا أن الوقوف على جواب هذا السؤال كفيل بإعادة الاعتبار لهذا الشخص الجليل من الأرحام المطهرة.

والجواب الذي ننقله هنا هو نص ما أجاب به محقق كتاب الجمل للشيخ المفيد ﷺ وننقله بالنص لكفايته، قال: عدم حضوره في مشهد الطف إما لأن الحسين ﷺ أذن له بالبقاء ليكون عينا له كما في مقتل محمد بن أبي طالب الحائري، أو للمرض كما يراه العلامة الحلي، و اعترافه بإمامة السجاد يدل على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل وإن لم

---

[82] - ترجمة الإمام الحسين (ع): ص٨٧.

[83] - سيرتنا وسنتنا: ص١٤٠، ونفس الخبر في المعجم الكبير فيه سبعة عشر.

[84] - مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٥٣، وإبصار العين: ص١٣.

الطف إما لأن الحسين ﷺ أذن له بالبقاء ليكون عينا له كما في مقتل محمد بن أبي طالب الحائري، أو للمرض كما يراه العلامة الحلي، و اعترافه بإمامة السجاد يدل على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل وإن لم نعرف السبب على التفصيل، ولعل الحسين ﷺ لاحظ مهمة دقيقة وهي كف الأذى عن آل أبي طالب وحرمهم من الأمويين بوجود ابن الحنفية[٨٥].

❖ شرعية الثورة

بعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ ولدت العديد من الحركات الثورية والثورات التي اقترنت باسم محمد ابن الحنفية وأنه المحرك لها، ووضع على أثرها في دائرة المحاكمة، إلا أن هذا الحديث المروي عن الإمام زين العابدين ﷺ يضع الأمور في موضعها الصحيح ويبرأ ابن الحنفية من أي شبهة.

قال الإمام ﷺ لمحمد ابن الحنفية: (ياعم، لو أن عبدا تعصب لنا أهل البيت ﷺ لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت)[٨٦].

وهذا يعني أنه نال شرعية التحرك والقيام من مقام الإمامة.

❖ معاناته مع ابن الزبير

وقد عانى وقاسى أشد المعاناة في عصر ولاية ابن الزبير للحجاز والعراق والذي كان من رؤساء حرب الجمل وبقية أهل البغي المجاهر بعداوة أهل البيت ﷺ، فقام بحبسه[٨٧]، وبعد أن لم يتحمله نفاه إلى الخيف

---

٨٥ - الجمل: ص١٧٩.
٨٦ - بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦٥.
٨٧ - شرح القصائد الهاشميات: ص ٤٣.

الخيف وهي ناحية من منى في الحجاز[88].

وكان ما يريده عبد الله بن الزبير منه هو البيعة لأسياده، ولما أن رفضها ابن الحنفية قرر أن يعاقب قومه، وأهله بأن يحصرهم ويمنع عنهم الطعام والشراب، حتى يمثل بذلك ضغطاً عليهم ويجرهم بذلك إلى البيعة ويتخلص من ابن الحنفية بالحرق.

وتنقل المصادر أنّ ابن الزبير أخذ محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلا من بني هاشم ليبايعوا له فامتنعوا فحبسهم في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبايعُن أو ليُحرقن بالنار[89].

❖ الحصار في الشعب

وذكر المسعودي في مروج الذهب في أخبار عبد الله بن الزبير أنه عمد إلى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم حطباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفي القوم محمد ابن الحنفية.

ثم ذكر مجيئ أبي عبد الله الجدلي[90] في أربعة آلاف من الكوفة من قبل المختار واستخراجهم بني هاشم من الشعب[91].

❖ جرأته في مواجهة ابن الزبير

وبالرغم من أنّ ابن الزبير كان كثير البطش، وينقصد ابن الحنفية

---

[88] - شرح منها ج الكرامة: ص٢٧٩.

[89] - تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص٨، الجوهرة في نسب الإمام علي (ع): ص٥٨، أولاد الإمام الباقر (ع): ص٣٢.

[90] - وهو أحد عظماء التابعين ومن كبار رجالات الشيعة.

[91] - بيت الأحزان: ص٨٥.

تحديدا إلا أنه استمر في مواجهته والرد على باطله، وقد روى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير خطب فنال من علي ﷺ فبلغ ذلك محمد ابن الحنفية، فجاء إليه وهو يخطب فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته، وقال:

يا معشر العرب شاهت الوجوه! أينتقص علي وأنتم حضور! إن عليا كان يد الله على أعداء الله وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقهم فقتلهم بكفرهم فشنؤوه وأبغضوه وأضمروا له السيف والحسد وابن عمه ﷺ حي بعد لم يمت، فلما نقله الله إلى جواره وأحب له ما عنده أظهرت له رجال أحقادها وشضت أضغانها، فمنهم من ابتزه حقه، ومنهم من ائتمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل، فإن يكن لذريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم وتحفر على أجسادهم والأبدان منهم يؤمئذ بالله بعد أن يقتل الأحياء منهم وتذل رقابهم، فيكون الله عز اسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفى صدورنا منهم، إنه والله ما يشتم عليا إلا كافر يسر شتم رسول الله ﷺ ويخاف أن يبوح به، فيكني بشتم علي ﷺ عنه، أما إنه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره وسمع قول رسول الله ﷺ فيه: (لا يحبك إلى مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال: عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال ابن أم حنفية؟ فقال محمد: يا بن أم رومان، ومالي لا أتكلم؟ وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها لأنها أم أخوي؟ أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ ابن مخزوم جدة رسول الله ﷺ، وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله ﷺ والقائمة مقام أمه، أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد بن عبد العزى عظما إلا هشمينه.

ثم قام وانصرف[٩٢].

---

[٩٢] - مواقف الشيعة: ج١، ص ٥٥.

❖ ذهابه إلى اليمن

ثم أقام محمد ابن الحنفية في الطائف، لا يرى ابن الزبير ولا يذكره إلى أن خرج إلى اليمن، فيذكر شيعته الذين يقولون بالرجعة إنه دخل شعبا يقال له شعب رضوى من أربعين رجلا من أصحابه فلم يزله إلى اليوم أثر[93].

❖ معتقدات باطلة فيه

ولشخصيته الباهرة فقد ذهب البعض مذهبا من الاعتقاد فيه يخالف ضرورة المعتقد الأصيل وهو التشيع الذي أراده النبي ﷺ معتقدا للأمة منذ زمانه وحتى يوم المعاد.

ومن تلك المعتقدات الباطلة ما مال إليه السيد بن محمد كيساني (من أصحاب المختار بن أبي عبيد الله) من أن محمد ابن الحنفية وهو القائم المهدي ﷺ، وأنه مقيم في جبال رضوى[94]، وهذا رأي من الآراء، وهناك من اعتقد به إماما بعد أبيه أمير المؤمنين ﷺ، ومن اعتقد بأنه الإمام بعد الحسن والحسين ﷺ، بالإضافة إلى الاعتقاد بأنه الإمام المهدي ﷺ وأن أباه هو الذي سماه به، وإنه لم يمت ولا يموت وليس لأحد أن يخالفه وإنما خرج الحسن والحسين بإذنه.

وهذا اعتقاد شكل رؤية فرقه سميت بـ(الكيسانية)، وقال النوبختي في وجه تسميتها: إنما سموا بالكيسانية لأنه استعمل المختار على العراقين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وسماه كيسان لكيسه[95].

---

[93] - الفتوح: ج ٦، ص ٢٥٣.
[94] - أخبار السيد الحميري: ص١٦٤.
[95] - فرق الشيعة: ص٤١، ٤٥.

أما ابن ميثم البحراني ﷺ فقد قال بأن وجه التسمية لأن أبا المختار حمله وهو صغير إلى الأمير فقال عنه أنه كيس.

قال الشيخ تبريزيان: عند التأمل في كتب التأريخ والتراجم نجزم بأن محمد ابن الحنفية لم يؤسس هذه الفرقة ولا له بهم صلة، وإنما هم نسبوا أنفسهم إليه وأنه كان يعلم بإمامة ابن أخيه السجاد ﷺ ولم يدع الإمامة لنفسه قط[96].

وهي أول فرقة شذت من الإمامية[97].

❖ أدلة الكيسانية

وقد اختارت الكيسانية لدعواها بإمامة محمد ابن الحنفية أدلة أوهن من بيت العنكبوت، منها: أن علي بن أبي طالب ﷺ قال له يوم البصرة أنت ابني حقا بالإضافة إلى أنه كان صاحب رايته.

وأما ادعاؤهم أنه الإمام المهدي فلقول النبي ﷺ: لن تنقضي الليالي والأيام حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي واسمه اسم أبي[98].

❖ بطلان أدلة الكيسانية

وقد أبطل علماؤنا مدعى الكيسانية بأدلة موضوعية، وفي ما ذكره الشيخ ميثم البحراني كفاية لذا نورده للقارئ، قال ﷺ:

أما قوله ﷺ أنت ابني حقا، فلا شك في هذه المقالة وإنما النزاع في دلالة هذا الكلام على تخصيصه بالإمامة، وظاهر إنه ليس فيه دلالة على

---

[96] - المسائل العشر في الغيبة: ص٤٨.

[97] - الصراط المستقيم ج٢، ص٢٦٦.

[98] - معجم أحاديث الإمام المهدي: ج١، العنوان ٢٢.

ذلك بل إنما يحمل ذلك على الشهادة لـه بالشجاعة وطيب المولـد، وذلـك أن محمدا ؓ لما حمل الراية يوم البصرة ثم صبر حتى كشف الناس فأبان من شجاعته وبأسه ما كان مستورا سربه ﷺ وأحب أن يعظمه ويمدحه على فعله أي أنك تشبهني في هذه الخصال وفي الصبر في الله.

وأما كونه صاحب الراية كما كان علي ؑ صاحب راية رسول الله ﷺ فليس ذلك من الدلالة على إمامته في شيء البتة، ولو صح الاستدلال بهذا القدر على الإمامة لكان كل من حمل راية النبي ﷺ وراية علي ؑ كان منصوصا عليه بالإمامة وذلك ظاهر الفساد.

وبالجملة فهم مطالبون بتصحيح دعواهم بالدليل الموجه.

وأما تمسكهم في أنه المهدي بقول الرسول ﷺ فليس في هذا الخبر إلا أن الله يبعث رجلا وله هذه الأوصاف، أما أنه هو هذا أو ذاك فلا يتناوله الخبر

وأضاف ؑ: ثم الذي يدل على أن محمدا ؓ ليس بإمام، أنه لم يدع الإمامة ولا دعا أحدا إلى اعتقاد ذلك عنه فيه، بدليل أنه سئل عند ظهور المختار وادعائه عليه أنه أمره بالخروج والطلب بثأر الحسين ؑ، وأنه أمره أن يدعوا الناس إلى إمامته عن ذلك وصحته فأنكره وقال: والله ما أمرتك بذلك، لكني لا أبالي أن يأخذ بثأرنا كل أحد، وما يسوئني أن يكون المختار هو الذي يطلب بدمائنا[٩٩].

❖ الحميري وابن الحنفية

وكان الشاعر المعروف مادح أهل البيت ؑ السيد اسماعيل الحميري ؒ يقول بإمامة محمد ابن الحنفية وأنه المهدي، وأنشد أبياتا في ذلك المعتقد، تقول:

---

[٩٩] - النجاة في القيامة: ص١٩٣، ١٩٤.

ألا حي المقيم بشعب رضوى واهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما

فدعاه الإمام الصادق ﷺ وبين له خطا معتقده فآمن به ورجع عن ضلالته، وقال قصيدته المعروفة:
تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت داينا به ونهاني سيد الناس جعفر[100]
فقلت له هبني تهودت برهة وإلا فديني دين من يتنصر
فلست بقال ما حييت وراجعا إلى ما عليه كنت أخفي وأضمر
ولا قائلا قولا لكيسان بعدها وإن عاب جهال علي وأكثروا
ولكنه ممن مضى لسبيله على أحسن الحالات يعفي ويؤثر

❖ لم يكن إماما

لم يعتقد الشيعة الإثنا عشرية عبر أي حقبة من التأريخ بأنه كان إماما من الأئمة، بل اعتقدوا فيه ما قاله فيه الإمام الباقر ﷺ عندما سأله حنان بن سدير: هل كان (ابن الحنفية) إماما؟ أجابه ﷺ: لا، كان مهديا.
ويقول الشريف المرتضى: قد بينا على ذلك (مطلب تقدم ذكره في واقعة الجمل) أن ابن الحنفية ما زال تابعا لأخويه ﷺ مقدما لهما على نفسه، راجعا إليهما، ومعولا عليهما، والمفضول لا يكون إماما، وحالهما ﷺ في العلم والفضل عليه ظاهرة لا تخفى على من سمع الأخبار، وبعد فإنه حضر البيعة لهما بالإمامة وكان راضيا بهما غير منازع ولا منكر، والتقية منهما عنه زائلة فكيف يكون مع كل ذلك إماما

---

[100] - الصراط المستقيم: ج٢، ص٢٦٨.

دونهما[101].

❖ تثبيته للإمامة

من المؤكد لدينا من خلال مطالعاتنا للتأريخ أن محمد ابن الحنفية من أشد الدعاة إلى مبدأ الإمامة الإلهية بعد النبوة وختمها بالنبي محمد ﷺ، وما أكثر ما حدث به أصحابه وجموع الناس من هذا الأمر، بل تنقل المصادر أن مروياته وأحاديثه في أمر الإمامة من الأخبار الطوال التي تقف على الكثير من الجزئيات التي تدفع الشبهة والشك.

وهنا ننقل لك نموذجا من تلك الأخبار: قال عمران بن داود: حدثنا محمد ابن الحنفية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: (لأعذبن كل رعية دانت بطاعة إمام ليس مني وإن كانت الرعية في نفسها برة، ولأرحمن كل رعية دانت بإمام عادل مني وإن كانت الرعية في نفسها غير برة ولا تقية) ثم قال لي: يا علي أنت الإمام والخليفة من بعدي، حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت أبو سبطي، وزوج ابنتي، من ذريتك الأئمة المطهرون، فأنا سيد الأنبياء، وأنت سيد الأوصياء، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ولولا أنا لم يخلق الجنة والنار لا الأنبياء ولا الملائكة.

قال: قلت يا رسول الله: فنحن أفضل من الملائكة؟ فقال: يا علي نحن خير خلقة الله على بسيط الأرض وخير من الملائكة المقربين، وكيف لا نكون خيرا منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده، فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا اهتدوا السبيل إلى معرفة الله.

يا علي؛ أنت مني وأنا منك، وأنت أخي ووزيري، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وستكون بعدي فتنة صماء صيلم يسقط فيها

---

[101] - الشافي في الإمامة: ص ٣، ص١٤٦.

كل وليجة وبطانة، وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من السابع من ولدك، يحزن لفقده أهل الأرض والسماء، فكم من مؤمن ومؤمنة متأسف متلهف حيران عند فقده.

ثم أطرق مليا، ثم رفع رأسه، وقال: بأبي وأمي سميي وشبهي وشبيه موسى ابن عمران عليه جبيب النور أو قال جلابيب النور يتوقد من شعاع القدس، كاني بهم آيس من كانوا. ثم نودي بنداء يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب، يكون رحمة على المؤمنين و عذابا على المنافقين.

قلت: وما ذلك النداء؟ قال: ثلاثة أصوات في رجب، أولها: (ألا لعنة الله على الظالمين): الثاني(أزفة الآزفة) والثالث: (ترون بدريا أو بدنا أو بدرا بارزا مع قرن الشمس ينادي الآن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي، فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم).

قلت: يا رسول الله فكم يكون بعدي من الأئمة؟ قال: بعد الحسين تسعة والتاسع قائمهم[102].

وأيضا روى عن أبيه أنه قال: وقد قبض محمد ﷺ وأن ولاية الأمة في يده وفي بيته لا في بد الأولى تناولوها ولا في بيوتهم ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أولى بالأمر من بعده من غيره في جميع الخصال[103].

وروى إبراهيم الأصفهاني وأبو المفضل الشيباني وابن بطة العكبري بالإسناد عنه خبرا مفاده: (لا تلقى مؤمنا إلا وفي قلبه ود لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته)[104].

وروى عن أبيه أنه قال: إني لنائم يوما إذ دخل رسول الله ﷺ فنظر

---

[102] - كفاية الأثر: ص١٥٧.

[103] - الخصال: ص٣٧٤، غاية المرام: ج٢، ص١٩٨.

[104] - ذخائر العقبى: ص٨٩، شواهد التنزيل: ج١، ص٤٦٤، غاية المرام: ج٤، ص١٠٧.

إلي وحركني برجله، وقال: قم يفدي بك أبي وأمي فإن جبرائيل أتاني، فقال لي: بشر هذا بأن الله تعالى جعل الأئمة من صلبه وأن الله تعالى يغفر له ولذريته ولشيعته ولمحبيه وأن من طعن عليه وبخس حقه فهو من النار[105].

وعن زر بن حبيش، قال: سمعت محمد ابن الحنفية ﷺ يقول: فينا ست خصال لم تكن في أحد ممن كان قبلنا ولا تكون في أحد بعدنا، منا محمد سيد المرسلين، وعلي سيد الوصيين، وحمزة سيد الشهداء، والحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، وجعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، ومهدي هذه الأمة الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم[106].

❖ صفات الشيعة برواية ابن الحنفية

وروى حديثا عن أبيه يذكر فيه صفات الشيعة نقله الشيخ الصدوق في صفات الشيعة، قال: بالإسناد عن محمد ابن الحنفية، قال: لما قدم أمير المؤمنين ﷺ البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس، واتخذ له طعاما، فبعث إليه (صلوات الله عليه) وإلى أصحابه فأقبلا، ثم قال: يا أحنف.. ادع لي أصحابي فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوالي، فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي نزل بهم، من قلة الطعام أو من هول الحرب؟

فقال (صلوات الله عليه): لا، يا أحنف، إن الله سبحانه أحب أقواما تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من قربهم يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله سبحانه توهموا خروج عنق يخرج من النار،

---

[105] - ينابيع المودة: ص٢٢٤، عنه شرح إحقاق الحق: ج٧، ص٣٩.

[106] - قرة العين: ص٩٠.

يحشر الخلائق إلى ربهم تبارك وتعالى وكتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضايح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا، وفارقهم عقولهم إذا غلت بهم من أجل التجرد إلى الله سبحانه غليانا، فكانوا يحنون حنين الواله في رحى الظلم، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام حزينة قلوبهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم، خامصة بطونهم، تراهم سكارى أسهارا وحشة الليل، تخشعون كأنهم شنان بوالي، قد أخلصوا لله أعمالهم سرا وعلانية، فلم يأمن من فزعة قلوبهم بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات، وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نبههم هول يوم القيامة والوعيد كما قال سبحانه: (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيتا وهم نائمون)[١٠٧]، فاستيقضوا لها فزعين، وقاموا إلى صلاتهم معولين، باكين تارة، وأخرى مسبحين، يبكون في محاريبهم، ويرنون يصطفون ليلة مظلمة بهماء يبكون[١٠٨].

ولهذا الحديث تتمة.

❖ مبدأ التبري عند ابن الحنفية

وكما كان ﷺ معتقدا بإمامة أبيه واخوته وابن أخيه كما سيأتي ومواليا لهم كان أيضا متبريا من أعدائهم والغاصبين لهم حقهم، فلا يتم تولي دون تبري، وللتدليل على تبريه كان يلعنهم فاللعن للتبري ليس سلبا، وقد روى عن محمد بن بشير أنه قال: سمعت محمد ابن الحنفية

---

١٠٧ - الآية ٩٧ من سورة الأعراف.

١٠٨ - صفات الشيعة: ص٣٩-٤٥.

يلعن عثمان، ويقول: كانت أبواب الضلالة مغلقة حتى فتحها عثمان[109].

وقال سالم بن أبي الجعد: قلت: أبو بكر كان أولهم (أول القوم) إسلاما؟ قال محمد: لا[110].

وينقل أيضا الأخبار التي تبين الصورة الحقيقية للمخالفين لأهل البيت ﷺ والذين هم النواصب، ومن تلك الأخبار وما نقله عن أبيه ﷺ أنه قال: ما خلق الله شيئا أشر من الكلب والناصب شر منه[111].

❖ دفاعه عن المنهج الإسلامي

ويشهد له التأريخ بأن كان مدافعا أيما دفاع عن الشريعة الإسلامية ومنهجها، ومن تلك المواقف الدفاعية ما جاء في السيرة الحلبية من أن أبا العلاء قال له: إنا لنتحدث أن بدء الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، قال: ففزع من ذلك محمد ابن الحنفية فزعا شديدا، وقال: عمدتم إلى ما هو الأصل في شرائع الإسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه تحتمل الصدق والكذب، وقد تكون أضغاث أحلام، قال: فقلت له: هذا الحديث قد استفاض في الناس. قال: هذا والله هو الباطل[112].

❖ إيمانه بإمامة السجاد ﷺ

وكما آمن بإمامة أبيه علي بن أبي طالب ﷺ وأخويه الحسن والحسين ﷺ كذلك آمن بإمامة ابن أخيه زين العابدين علي بن الحسين ﷺ، وقد

---

[109] - تقريب المعارف: ص٢٥٩.

[110] - الاستيعاب: ج٢، ص ٤٥٨.

[111] - الصراط المستقيم: ج٣، ص٥٨.

[112] - السيرة الحلبية: ج٢، ص ٣٠٠، وعنه النص والاجتهاد: ص ٢٣٧.

روى محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد بن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال: (ما مات محمد ابن الحنفية حتى آمن بعلي بن الحسين ﷺ)[113].

❖ الحجر الأسعد يهدي إلى الحق

وقد نقل التأريخ أن محمد ابن الحنفية قد توقف في أمر إمامة ابن أخيه علي بن الحسين ﷺ فدعاه ابن أخيه إلى الاحتكام إلى الحجر الأسود في البيت الحرام فقبل ولما حكم الحجر الأسود بأحقية علي بن الحسين ﷺ للإمامة قبل محمد ابن الحنفية وأذعن وهذا نص الحادثة:

عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبيدة وزراة، عن أبي جعفر ﷺ قال: لما قتل الحسين بن علي ﷺ أرسل محمد ابن الحنفية إلى علي بن الحسين ﷺ فخلا به، ثم قال له: يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله ﷺ كان [قد] جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب ﷺ ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين ﷺ وقد قتل أبوك ﷺ ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي ﷺ، في سني وقدمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني.

فقال له علي بن الحسين ﷺ: ياعم، اتق الله، ولا تدع ما ليس لك بحق، إني أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم، إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي من ذلك قبل أن يستشهد قبل أن يستشهد بساعة وهذا سلاح رسول الله ﷺ عندي، فلا تعرض لهذا، فإنني أخاف عليك نقص العمر، وتشتت الحال، إن الله لما صنع مع معاوية ما صنع بدا لله فآلى أن لا يجعل الوصية والإمامة إلا في

---

[113] - كمال الدين: ج١، ص٣٦، بحار الأنوار: ج٤٢، ص٨١.

عقب الحسين ﷺ ، فإن أردت أن تعلم ذلك ، فانطلق إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر ﷺ : وكان الكلام بينهما يومئذ بمكة فانطلقا حتى أتيا الحجر ، فقال علي ﷺ لمحمد : ابدأ فابتهل إلى الله وسله أن ينطق (الحجر) لك ، ثم سله.

فابتهل محمد في الدعاء ، وسأل الله ، ثم دعا الحجر فلم يجبه ، فقال علي ﷺ : أما إنك ـ ياعم ـ لو كنت وصيا وإماما لأجابك. فقال له محمد : فادع أنت ، يا بن لأخيا وسله. فدعا الله علي بن الحسين ﷺ بما أراد [وسنذكر الدعاء بعد نقل الحادثة]. ثم قال ﷺ : أسألك بالذي جعل فيك ميثاق العباد ، وميثاق الأنبياء والأوصياء ، لما أخبرتنا بلسان عربي مبين : من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي ﷺ؟! فتحرك الحجر حتى كاد أن زول من موضعه ، ثم أنطقه الله بلسان عربي مبين ، فقال : اللهم إن الوصية و الإمامة بعد الحسين بن علي ﷺ إلى علي بن الحسين ﷺ ابن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ.

فانصرف محمد بن علي ابن الحنفية وهو يتولى علي بن الحسين ﷺ [١١٤].

❖ دعاء الإمام زين العابدين ﷺ

وهذا نصه:

(اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال،

---

[١١٤] - الإمامة والتبصرة: ص ٦٠ ، ٦٢ ، بصائر الدرجات: ص٥٠٢ ، مختصر البصائر: ص ١٤ ، بحار الأنوار: ج٤٢ ، ص٧٧ ، وج٤٦ ، ص١١٢ ، الكافي: ج١ ، ص٣٤٨ ، إعلام الورى: ص٢٥٨ ، المناقب: ج٣ ، ص ٢٨٨ ، الاحتجاج: ج٢ ، ص ٤٦.

وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القدرة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر، السابق الفائق، الحسن النضير، رب الملائكة الثمانية، لورب جبرئيل وميكائيل واسرافيل، ورب محمد خاتم النبيين، لما انطقت هذا الحجر بلسان عربي فصيح يخبر لمن الإمامة والوصية بعد الحسين بن علي[115]، ورب العرش العظيم، وبالعين التي لا تنام، وبالاسم الأكبر الأكبر الأكبر، و بالاسم الأعظم الأعظم الأعظم، المحيط المحيط المحيط بملكوت السماوات والأرض، وبالاسم الذي أشرقت به الشمس، وأضاء به القمر، وسجرت[116] به البحار، ونصبت به الجبال، والاسم الذي قام به العرش والكرسي، وبأسمائك المكرمات المقدسات المكنونات المخزونات في علم الغيب عندك، أسألك بذلك كله أن تصلي على محمد وآل محمد (وأن تفعل بي كذا وكذا . . .)[117].

❖ عظمة هذا الدعاء

وفي حق هذا الدعاء ومكانته قال الإمام الصادق ﷺ لأحد أصحابه وهو أبان بن تغلب : (يا أبان ، إياكم أن تدعوا بهذا الدعاء إلا لأمر مهم من أمر الدنيا والآخرة ، فإن العباد ما يدرون ما هو؟ هو من مخزون علم آل محمد عليه وعليهم السلام)[118].

❖ نقل آخر لحادثة الحجر

وعن الإمام أبي عبد الله ﷺ قال : جاء محمد ابن الحنفية إلى علي بن

---

[115] - هذه الفقرة الإضافية من كشف الغمة.

[116] - أي ملئت.

[117] - الصحيفة السجادية الجامعة : ص٦٠٥.

[118] - الصحيفة السجادي الجامعة : ص٦٠٦.

الحسين ﷺ فقال: يا علي، ألست تقر بأني إمام عليك ؟ قال: يا عم، لو علمت ذلك ما خالفتك، ولكني أعلم إن طاعتي عليك وعلى الخلائق مفروضة، وقال : يا عم، أما علمت أني وصي وابن وصي وابنه، ودار بينهما حديث مدة ساعة.

فقال علي بن الحسين ﷺ: بمن ترضى يكون بيننا حكما؟ فقال محمد: من شئت. قال: أترضى أن يكون بيننا الحجر الأسود؟ فقال محمد: سبحان الله! أدعوك إلى الناس وتدعوني إلى حجر لا يتكلم! فقال علي ﷺ: يتكلم، أما علمت - يا عم - أنه يأتي يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان، فيشهد لمن وافاه بالموافاة، فندنوا أنا وأنت منه فندعو الله أن ينطقه لنا أينا حجة الله على خلقه.

فانطلقا وصليا عند مقام ابراهيم ﷺ ودنوا من الحجر الأسود، وقد كان ابن الحنفية قال: ليتني لم أجبك إلى ما دعوتني إليه إني إذا لمن الظالمين، فقال علي ﷺ لمحمد: تقدم يا عم إليه فإنك أسن مني، فقال محمد للحجر: أسألك بحرمة الله، وبحرمة رسوله، وبحرمة كل مؤمن إن كنت تعلم أني حجة الله على علي بن الحسين إلا نطقت بالحق، وبينت ذلك لنا، فلم يجبه.

ثم قال محمد لعلي ﷺ: تقدم فاسأله، فتقدم علي ﷺ فتكلم بكلام خفي لا يفهم، ثم قال: أسألك بحرمة الله، وبحرمة رسوله، وبحرمة علي أمير المؤمنين، وبحرمة فاطمة، وبحرمة الحسن والحسين، إن كنت تعلم أني حجة الله على عمي إلا نطقت بذلك وبينت لنا حتى يرجع عن رأيه.

فقال الحجر بلسان عربي مبين: يا محمد بن علي، اسمع وأطع لعلي بن الحسين فإنه حجة الله على خلقه، فقال ابن الحنفية بعد ذلك: سمعت وأطعت وأسلمت[١١٩].

---

[١١٩] - الهداية الكبرى: ص٢٢٠، الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٥٧، الثاقب في المناقب: ص٣٤٩، عيون المعجزات: ص٧١، ألقاب الرسول (ص)وعترته: ص٢٥٤، دلائل الإمامة: ص٢٠٣.

❖ إعلانه لحادثة الحجر الأسعد

ولم يكن محمد ابن الحنفية مكابرا في الأمر بـل كـان متواضعا ومنصفا فلما وقعت حادثة الحجر مع ابن أخيه كـان هـو الـذي يخبر النـاس بـها ويحدثهم بالمعجزة ويدعوهم إلى الهدى والحذر من الضلال.

وهذه حكاية أبو خالد الكابلي الـذي كـان يقـول بإمامة محمـد ابـن الحنفية لما قد من كابل شاه إلى المدينة وسمع محمدا يخاطب علي بن الحسين ﷺ قائلا يا سيدي ، قال له أبو الخالد : أتخاطب ابـن أخيك بمـا لا يخاطبك بمثله. فقال : إنه حاكمني إلى الحجر الأسـود وزعـم أنـه ينطـق فصـرت معـه إليه ، فسمعت الحجر يقول : يا محمد سلم الأمـر إلى ابـن أخيـك فإنـه أحـق منك ، فقلت شعري هذا :

عجبت لكر صروف الزمان وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن رده الأمر لا ينثني إلى الطيب الطهر نور الجنان
علي ومن كان من عمه برد الإمامة عطف العنان
وتحكيمه حجرا أسودا وما كان من نطقه المستبان
بتسليم عم بغير امتراء إلى ابن أخ منطقا باللسان
شهدت بذلك صدقا كما شهدت بتصديق آي القرآن
علي إمامي لا أمتري وخليت قولي بكان وكان

وصار إثر ذلك أبو خالد الكابلي إماميا[١٢٠].

❖ صخرة تحتكم للسجاد ﷺ

وهناك نقل لحادثة أخرى في التحاكم يرويها أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن منذر قائلا : جاء مال من خراسان إلى مكة ، فقـال محمـد ابـن الحنفيـة هـذا

[١٢٠] - رجال الكشي : ص١١ ، أخبار السيد الحميري : ص١٦٨.

المال لي وأنا أحق به، فقال له علي بن الحسين ﷺ بيني وبينك الصخرة، فأتيا الصخرة، فكلم محمد ابن الحنفية الصخرة فلم تنطق، فكلمها علي بن الحسين ﷺ فنطقت وقال: المال لك، المال لك، وأنت الوصي ابن الوصي، والإمام ابن الإمام، فبكى محمد، وقال: يا بن أخي لقد ظلمتك إذ غصبتك حقك[121].

❖ رثائه لابن عباس

ونقل ابن الأثير أنه هو الذي صلى على عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وقال فيه: مات والله اليوم حبر هذه الأمة[122].

وكان ذلك في سنة ٦٨ للهجرة.

❖ ابن الحنفية مفسرا

نجد في كثير من الأخبار والأحاديث نقولات لمحمد ابن الحنفية أو عنه في شأن آيات القرآن الكريم، كلها تحمل دلالات على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن محمد ابن الحنفية كان شديد الاهتمام بقراءة القرآن وتدبره.

الأمر الثاني: أنه كان حذرا من أهواء تحريف القرآن وتزييف معانيه وإشاراته.

الأمر الثالث: أنه كان يسعى في تفسيره للقرآن أن يربط آياته بأهل البيت ﷺ الذي هم القرآن الناطق.

---

[121] - دلائل الإمامة: ص١٩٩، نوادر المعجزات: ج٣، ص١١٤، اثباة للهداة: ج٥، ص ٢٥٥، مدينة المعاجز: ج٥، ص٢٩٣.

[122] - كفاية الأثر: ص٣٢٧، وأسد الغابة: ج٣، ص١٩٢.

ومن تلك النقولات ما يلي:

١- قال الإمام الباقر ﷺ: كان محمد ابن الحنفية ﷺ يقول: (الصمد) القائم بنفسه، الغني عن غيره[١٢٣].

وفي مصدر آخر سئل محمد ابن الحنفية عن الصمد، فقال: قال علي ﷺ: تأويل الصمد: لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه، ولا صورة ولا تمثال، ولا حد ولا محدود، ولا موضع ولا مكان، ولا كيف ولا أين، ولا هنا ولا ثمة، ولا على ولا خلاء ولا ملاء، ولا قيام ولا قعود، ولا سكون ولا حركات، ولا ظلماني ولا نوراني، ولا روحاني ولا نفساني، ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع، ولا على لون، ولا خطر على قلب، ولا على شم رائحة، منفي من هذه الأشياء[١٢٤]

٢- وفي تفسير قوله تعالى: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)[١٢٥] روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد ابن الحنفية عن علي ﷺ أنه قال: (أنا ذلك المؤذن)[١٢٦].

٣- روى عن أبيه الخبر التالي في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾[١٢٧]. قال ﷺ: عرض الله أمانتي على السماوات السبع بالثواب والعقاب، فقلن: ربنا لا نحملها بالثواب والعقاب، ولكن نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإن الله عرض أمانتي وولايتي على الطير، فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها من الطير البوم

---

[١٢٣] - التوحيد: ص ٩٠.

[١٢٤] - معارج اليقين: ص٣٨.

[١٢٥] - الآية من سورة الأعراف.

[١٢٦] - شواهد التنزيل: ج١، ص٢٦٧.

[١٢٧] - الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

والعنقاء، فلعنهما الله من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير أو تظهر بالنهار لبغض الطير لها، أما العنقاء فغابت في البحار لا ترى، وإن الله عرض أمانتي على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتي وأمانتي جعلها الله طيبة مباركة زكية وجعل نباتها وثمرها حلوا عذبا، وجعل ماءها زلالا، وكل بقعة جحدت أمانتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخة وجعل نباتها مرا علقما، وجعل ثمارها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحا أجاجا، ثم قال: وحملها الإنسان، يعني أمتك يا محمد، ولاية أمير المؤمنين وإمامته بما فيها من الثواب والعقاب، وإنه كان ظلوما لنفسه جهولا لأمر ربه، من لم يؤدها بحقها فهو ظلوم غشوم[128].

٤- روى المنذر الثوري عنه عن أبيه ﷺ في قول الله عز وجل: (ورجلا سلما لرجل)[129] أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله ﷺ[130].

٥- روى ابن شهر آشوب عن تفسير الهذلي، ومقاتل عنه، في خبر طويل: إنما نحن (إشارة إلى قوم من بني أمية) مستهزؤون بعلي بن أبي طالب، فقال الله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾[131] يعني يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بأمير المؤمنين ﷺ[132].

٦- وروى عن أبيه ﷺ قوله: كنت عاهدت الله ورسوله ﷺ أنا وعمي حمزة وأخي جعفر وابن عمي عبيدة بن الحارث على أمر وفينا به لله ولرسوله، فتقدمني أصحابي وخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل، فأنزل الله سبحانه فينا: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم

---

[128] - بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٨١، وغاية المرام: ج٤، ص١٨٦.

[129] - الآية ٢٩ من سورة الزمر.

[130] - بحار الأنوار: ج٢٤، ص١٦١ وغاية المرام: ج٤، ص٢٥٥. شرح إحقاق الحق: ج١٤، ص٦٧٤.

[131] - الآية ١٥ من سورة البقرة.

[132] - غاية المرام: ج٤، ص٢٨٥.

من قضى نحبه﴾ حمزة وجعفر وعبيدة ﴿ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[133] أنا المنتظر وما بدلت تبديلا[134].

٧- أورد الهيثمي في الصواعق المحرقة (ص١٧٠) أخرج الحافظ السلفي عن محمد ابن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾[135]: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته[136].

٨- روى عن أبيه في قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[137] أنه قال: أنا ذو القلب الذي عنى الله بهذا.

٩- قوله: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾[138] قال محمد عن أبيه ﷺ: قال: يا جبرئيل وما الصفح الجميل؟ قال: إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاقبه[139].

١٠- اختلفوا في المراد من قوله تعالى: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾[140] قال محمد: فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور[141].

١١- عن قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[142] قال:

---

[133] - الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.
[134] - بحار الأنوار: ج٣١، ص٤١٠، وغاية المرام: ج٤، ص٢١٧.
[135] - الآية ٩٦ من سورة مريم.
[136] - شرح إحقاق الحق: ج٣، ج٨٥.
[137] - الآية ٣٧ من سورة ق.
[138] - الآية ٨٥ من سورة الحجر.
[139] - إرشاد الساري: ج٩، ص ٢٤٠.
[140] - الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.
[141] - تفسير الرازي: ج٣، ص٤٢.
[142] - الآية ٦٠ من سورة الرحمن.

هي مسجلة للبر والفاجر؛ البر في الآخرة والفاجر في الدنيا[143].

١٢- قوله تعالى: (يس)[144] قال: محمد ﷺ[145].

١٣- قوله تعالى: ﴿وهم ينهون عنه﴾[146] قال: هم كفار مكة كانوا يدفعون الناس عنه ولا يجيبونه[147].

١٤- قوله تعالى: (في أي صورة ما شاء ركبك) قال: صور الله عز وجل علي بن أبي طالب عليه السلام في ظهر أبي طالب على صورة محمد ﷺ فكان علي بن أبي طالب عليه السلام أشبه الناس برسول الله ﷺ وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى[148].

❖ روايته للأحاديث

وكان عليه السلام محدثا وثبتا في نقله للأخبار، وهنا نستعرض جملة من تلك الأخبار التي رواها أو نقلت عنه:

١- عن محمد بن بشر الهمداني، قال: سمعت محمد ابن الحنفية، يقول: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ يوم القيامة آخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا. قلت: يا أمير المؤمنين وما الحجزة؟ قال: الله أعظم من أن يوصف بالحجزة أو غير ذلك، ولكن رسول الله ﷺ آخذ بأمر الله، ونحن آل محمد آخذون بأمر نبينا وشيعتنا آخذون بأمرنا[149].

---

[143] - تفسير الطبري: ج٧، ص٨٩.
[144] - الآية ١ من سورة يس.
[145] - دلائل النبوة: ج١، ص١٥٨.
[146] - الآية ٢٦ من سورة الأنعام.
[147] - فتح القدير: ج٢.
[148] - بحار الأنوار: ج٢٤، ص٣١٩.
[149] - التوحيد: ص١٦٥.

٢- روى عن أبيه ﷺ خبر الرسول ﷺ: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة[150]. أو قال: في يومين[151].

٣- روى عن أبيه حديثه في ابن ملجم يوم أتى به أسيرا قال ﷺ: إنه أسير فأحسنوا إليه وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت، أو عفوت أبقيت، فإن مت فاقتلوه كما قتلني ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين[152].

٤- وروى قائلا: كنا عند علي ﷺ فسأله رجل عن المهدي ﷺ، فقال ﷺ: هيهات. ثم عقد بيده سبعا، فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل، فيجمع الله تعالى له قوما فزع كفزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركون الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذي جازوا معه النهر.

قال أبو الطفيل (راوي الخبر) قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم. قال: إنه يخرج من بين هذين الخشبتين. قلت: لا جرم والله لا أريهما حتى أموت. فمات لها يعني مكة حرسها الله تعالى[153].

٥- وروى: تخرج رايات سود لبني العباس، ثم يخرج من خراسان أخرى أسود، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس يوطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر إلى المهدي اثنان وسبعون شهرا[154].

٦- عن عبد الأعلى بن عامر، قال: سمعت محمد ابن الحنفية يقول:

---

[150] - غاية المرام: ج٧، ص٩٧.
[151] - حلية الأولياء: ج٣، ص١٧٧.
[152] - المناقب للخوارزمي: ص٢٧١.
[153] - المستدرك: ج٤، ص٥٥٤.
[154] - الفقه الأكبر: ج٢، ص٦٢.

الكوفة دار هجرة مرتين. قلت: وكيف ذاك؟ قال: هاجروا إلى علي بن أبي طالب (صلى الله عليه) ويهاجرون إلى المهدي[155].

٧- في رواية أخرى، قال: كانوا وزراء أمير المؤمنين ﷺ وأنصاره وسيكونون وزراء المهدي ﷺ وأنصاره[156].

٨- وروى أبو جعفر محمد ابن الحنفية، عن أبيه علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أشفع لأمتي حتى ينادي ربي رضيت يا محمد، فأقول: رضيت[157].

٩- روى: ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس يملأ الأرض عدلا يبني بيت المقدس بناء لم يبنى مثله، يملك أربعين سنة، تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته، ثم يغدرون به، ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غما، ثم يلي بعده رجل من بني هاشم، ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه، ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنزها ومائدة سليمان بن داوود ﷺ ثم يرجع إلى بيت المقدس فينزلها ويخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيصلي خلفه[158].

❖ الإخبار بالمغيبات

دأب المعصومون ﷺ على إخبار شيعتهم ومحبيهم بأخبار المستقبل وبعض ما يحتملوه من أمر الغيب، وذلك لتعميق إيمانهم وصنع البصيرة فالمؤمن ينظر بعين الله أو بنوره.

---

[155] -شرح إحقاق الحق: ج١٣، ص٣٨٣.
[156] - شرح إحقاق الحق: ج١٣، ص٣٨٣
[157] - المصدر المتقدم: ج١٤، ص٤٦٣.
[158] - الفتنة والملاحم، ج١، ص٣٩٩.

ومن هذه الزواية كان محمد ابن الحنفية يروي عنهم ﷺ تلك الأخبار وبنفس الداعي، ومما حدث به ما رواه محمد بن بشر قال: سمعت محمد ابن الحنفية ﷺ يقول: إن قبل رايتنا راية لآل جعفر، وأخرى لآل مرداس لكناية عن بني العباس فأما راية آل جعفر فليست بشيء ولا إلى شيء.

فغضبت وكنت أقرب الناس إليه، فقلت: جعلت فداك إن قبل راياتكم رايات؟ قال: إي والله، إن لبني مرداس ملكا موطدا لا يعرفون في سلطانهم شيئا من الخير، سلطانهم عسر ليس فيه يسر، يدنون فيه البعيد، ويقصون فيه القريب، حتى إذا آمنوا مكر الله وعقابه اطمأنوا أن ملكهم لا يزول، صيح بهم صيحة لهم يبق لم داع يجمعهم، ولا داع يسمعهم، ولا جماعة يجتمعون إليها، وقد ضربهم الله مثلا في كتابه:

﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا﴾[159].

ثم حلف محمد ابن الحنفية بالله أن هذه الآية نزلت فيهم. فقلت: جعلت فداك، لقد حدثتني عن هؤلاء بأمر عظيم فمتى يهلكون؟ فقال: ويحك يا محمد، إن الله خالف علمه وقت الموقتين، إن موسى ﷺ وعد قومه ثلاثين يوما، وكان في علم الله عز وجل زيادة عشرة ايام لم يخبر بها موسى، فكفر قومه واتخذوا العجل من بعده لما جاز عنهم الوقت، وإن يونس وعد قومه العذاب، وكان في علم الله أن يعفو عنهم، وكان من أمره ما قد علمت. ولكن إذا رأيت الحاجة قد ظهرت، وقال الرجل: بت الليلة بغير عشاء، وحتى يلقاك الرجل بوجه ثم يلقاك بوجه آخر.

قلت: هذه الحاجة عرفتها، فما الأخرى، وأي شيء هي؟ قال: يلقاك بوجه طلق فإذا جئت تستقرضه قرضا لقيك بغير ذلك الوجه، فعند

---

[159] - الآية ٢٤ من سورة يونس.

ذلك تقع الصيحة[160].

ومن تلك الأخبار ما رواه عنه منذر الثوري أنه قال: إن هذه الأمة لن تهلك حتى تتكلم في ربها[161].

❖ تقولات حديثية على ابن الحنفية

وكثيرا ما تقول أبناء العامة على هذا الرجل الثبت في نقله فنسبوا إليه أخبارا لا صحة لها، منها: ما رواه ثقاتهم في الصحيحين عن الزهري، عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما محمد، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال لابن عباس ﷺ لما أباح المتعة: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خير.

روى هذا الخبر عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها أئمة الإسلام في زمانهم بالسنة مثل: مالك بن أنس، وسفيان ابن عينيه وغيرهما ممن اتفق على علمهم وعدلهم وحفظهم ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح يتلقى بالقبول ليس في أهل العلم من طعن في صحته.

وهذا نقل ابن تيمية في منهاج السنة.

واعتبر أهل السنة يتبعون عمرا وعليا وغيرهما فيما أمر الرسول ﷺ والشيعة خالفوا.

❖ الرد على تلك النقولات

ورد العلامة الحلي على ذلك بأنه لا يبقى ريب لدى العاقل المنصف في أن ما رووه عن الزهري عن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما، موضوع

---

[160] - الغيبة للنعماني: ص٣٠١ وعنه بحار الأنوار: ج٥٢، ص٢٤٦.

[161] - التوحيد: ص٤٥٧.

مختلق وكفى.

ثم أورد ملاحظات هامة على هذا الحديث يطول ذكره ها هنا ولكن من الضروري أن يطلع قارئ صفحاتنا عليها لأنها تبصره بأساليب الدس والتشويه الذي مني به عالم أحاديثنا.

راجع شرح منهاج الكرامة من ص٣٦٣.

❖ نقولات حديثية أخرى

وأيضا مما نسب إليه من الأخبار الكاذبة ما رواه البخاري من أن محمد ابن الحنفية سأل أباه: أي الناس خير من بعد النبي ﷺ؟ فقال ﵇: أبو بكر. فقال محمد: ثم من؟ فقال ﵇: عمر، قال محمد: فخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت قال ﵇: ما أنا إلا رجل من المسلمين[١٦٢].

❖ رد هذه الأكذوبة

قال العلامة الأميني ﵀: ليست هذه أول سقطة من سقطات البخاري، ومن عرف معتقد أمير المؤمنين ﵇ في الذين تقدموه وما استمر عليه دأبه من التصريح بذلك المعتقد تارة والتلويح إليه أخرى لا يشك في أن ما عزي إليه بهتان عظيم.

وليس ابن الحنفية ذلك الذي لا يعرف أباه ولا نظريته في القوم بعد اللتيا والتي حتى يسأله عن أولئك الرجال ثم يخاف من أن يقول في المرة الثالثة عثمان، وهو يعرفه بعجزه وبجره لا محاله، ويعلم أنه أحد الثلاثين من بني أبي العاص الذين صح فيهم قول رسول الله ﷺ: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا[١٦٣].

---

١٦٢ - صحيح البخاري: ج٥، ص٢٤٩.

١٦٣ - الغدير: : ج٩، ص٢٨٩.

❖ وفاته

ذكر المؤرخون أن وفاته كانت سنة ٨١ للهجرة[١٦٤]. وقيل أن وفاته كانت في العام ٦٧ للهجرة[١٦٥]، وقيل أيضا إنها كانت سنة أربع وثمانين من الهجرة[١٦٦].

وذكرت المصادر أن عمره كان يوم وفاته خمس وستون سنة[١٦٧].

وقد أخبر عن سنة وفاته كما نقل ذلك عنه عبد الله بن محمد بن عقيل قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: سنة الحجاف حين دخلت إحدى وثمانون هذه لي ست وستون سنة قد جاوزت سن أبي.

قال: قلت وكم كانت سنة يوم قتل؟ قال: ثلاث وستون.

❖ الإمام الباقر ﷺ وابن الحنفية

وقد حضر الإمام محمد الباقر ﷺ واقعة رحيل بن الحنفية إلى العالم الآخر، هذا فيما رواه حيان السراج عن الإمام الصادق ﷺ، عندما دخل عليه، فقال له: يا حيان: ما يقول أصحابك في محمد بن الحنفية؟ قال: يقولون: إنه حي يرزق.

فقال الصادق ﷺ: حدثني أبي ﷺ أنه كان فيمن عاده في مرضه، وفيمن غمضه وأدخله حفرته، وزوج نساءه، وقسم ميراثه[١٦٨].

---

[١٦٤] - وفيات الأعيان: ج٢، ج٤٤٩.

[١٦٥] - أخبار السيد الحميري: ص١٦٤.

[١٦٦] - كمال الدين: ص٣٦.

[١٦٧] - التنبيه والأشراف: ص٢٨٣، تذكرة الخواص: ص١٦٩، البداية: ج٩، ص٣٨.

[١٦٨] - منتخب الأنوار الضيئة (ص١٤٢) عن كمال الدين: ص٣٦.

❖ قبره

ويوجد في منطقة بدمشق تسمى المزه قبر ينسب إليه، وهذه صورة المرقد.

❖ خاتمة

أعترف إنني لم أوفق في حدود هذه الصفحات لتناول أبعاد هذا الموضوع لأسباب كثيرة، منها: إن الموضوع هذا تحديدا لا يمكن تناوله في حدود صفحات بسيطة بل لا بد من الاسهاب فيه، ومنها: إن هناك مصادر أساسية في عصب حديثنا لم نوفق للوقوف عليها.

ولأن موضوع حياة ابن الحنفية له مدخلية في الكثير من قضايا التأريخ والعصر لذا فإنني عازم على العودة له بدقة وضمن دراسة منهجية موسعة فلديعوا لي القارئ أن أوفق إليها، وليسيمحني العذر في التقصير الذي منيت به هذه الأوراق.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١- **أبصار العين في أنصار الحسين ﷺ**: الشيخ محمد السماوي.
٢- **إثبات الهداة**: الحر الجامع.
٣- **الاثنا عشرية**: الشيخ محمد بن حسن العاملي (قده)، تعليق: السيد مهدي اللازوردي الحسين، و الشيخ محمد درودي، دار الكتب العلمية (قم).
٤- **الاحتجاج**: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٨٨هـ)، تعليقات: السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان (في النجف)، دار الأسوة (إيران).
٥- **أخبار السيل الحميري**: لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني (ت ٣٥٨هـ)، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، ١٤١٣هـ.
٦- **الأخبار الطوال**: الدينوري.
٧- **الأخلاق الحسنية**: الشيخ جعفر البياتي.
٨- **الاستغاثة**: أبو القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى (ت ٣٥٢هـ).
٩- **أسد الغابة ابن الأثير** :(ت: ٦٣٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
١٠- **أسرار الشهادة**: الدربندي.
١١- **أصدق الأخبار**: السيد محسن الأمين.
١٢- **الاعتقادات في دين الإمامية**: رئيس المحدثين أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ).
١٣- **إعلام الورى بأعلام الهدى**: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (قم) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٤- **الإمام الحسين ﷺ في أحاديث الفريقين**: السيد محمد علي

الأبطحي الموحد الأصفهاني.
١٥- **الإمامة والتبصرة:** ابن بابويه القمي (ت: ٣٢٩هـ)، مدرسة الإمام المهدي ﷺ (قم).
١٦- **بحار الأنوار:** العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس سره)، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٧- **البداية والنهاية:** الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٨- **بصائر الدرجات الكبرى:** المحدث أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروح الصفار (ت٢٩٠)، تعليق الحاج ميرزا محسن كوجيه باغي، مؤسسة الأعلمي (طهران)، ١٤٠٤هـ.
١٩- **بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية:** السيد جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاووس (ت٦٧٣هـ)، تحقيق السيد علي العدناني الغريفي، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (قم)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٠- **بيت الأحزان:** الشيخ عباس القمي (ره)، دار الحكمة (قم)، ١٤١٢هـ.
٢١- **تأريخ اليعقوبي:** أحمد بن أبي يعقوب، مؤسسة منشورات الشريف الرضي (قم).
٢٢- **تذكرة الخواص:** ابن الجوزي.
٢٣- **ترجمة الإمام الحسين ﷺ ومقتله:** (من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد): تحقيق : السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (قم)، ١٤١٥هـ.
٢٤- **تقريب المعارف:** أبي الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ)، تحقيق : الشيخ فارس تبريزيان الحسون، المحقق، ١٤١٧هـ.

٢٥- **التنبيه والإشراف:** المسعودي.
٢٦- **التوحيد:** أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، جامعة المدرسين (قم).
٢٧- **الثاقب في المناقب:** ابن حمزة، تحقيق نبيل رضوان علوان، مؤسسة أنصاريان (قم)، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٢٨- **جامع الأصول:** ابن الأثير.
٢٩- الجمل والنصرة في حرب البصرة: الشيخ السعيد المفيد محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري (قم)، الطبعة الثانية.
٣٠- **جهاد الإمام السجاد** عليه السلام: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، مؤسسة دار الحديث الثقافية (قم).
٣١- **الجوهرة في نسب الإمام علي** عليه السلام: محمد بن أبي بكر الأنصاري التهساني، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، مكتبة النوري، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
٣٢- **الحياة السياسة للإمام الرضا** عليه السلام: السيد جعفر مرتضى العاملي، دار التبليغ الإسلامي.
٣٣- **الخرائج والجرائح:** المحدث قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه.
٣٤- **الخصال: الشيخ الصدوق** رحمه الله.
٣٥- **دلائل الإمامة:** للمحدث للشيخ أبي جعفر بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٣٦- **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى:** للطبري.
٣٧- **رجال الكشي:** للكشي.
٣٨- **الروض الأنف:** للسهيلي.
٣٩- **السيرة الحلبية.**

٤٠- **سيرتنا وسنتنا**: الشيخ عبد الحسين الأميني ﷺ، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٤١- **الشافي في الإمامة**: للشريف المرتضى (قدس سره)، مؤسسة الصادق ﷺ (طهران)، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
٤٢- **شرح إحقاق الحق**: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (ره)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم).
٤٣- **شرح القائد الهاشميات**: الكميت بن زيد الأسدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت).
٤٤- **شرح قصائد الكرامة**: السيد علي الحسيني الميلاني، مكتب نشر التراث المخطوط (طهران).
٤٥- **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد المعتزلي.
٤٦- **شهادة النبي ﷺ**: الشيخ محمود الشريفي.
٤٧- **شواهد التنزيل**: الحسكاني.
٤٨- **الشيعة في الميزان**: الشيخ محمد جواد مغنية، دار الشروق (بيروت).
٤٩- **الصحيفة السجادية**: الإمام زين العابدين ﷺ، تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، مدرسة الإمام المهدي ﷺ (قم).
٥٠- **الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**: الشيخ زين الدين العاملي النباطي البياضي (ت ٨٧٧)، تصحيح وتحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية (طهران)، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
٥١- **صفات الشيعة**: الشيخ الصدوق.
٥٢- **الطرائق في معرفة مذاهب الطوائف**: السيد رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس الحلي (ت ٦٦٤هـ)، مطبعة الخيام (قم)، ١٣٩٩هـ.
٥٣- **العدد القوية لدفع المخاوف اليومية**: السيد رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي (قده)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي العامة. (قم)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٤- **العقد الفريد:** ابن عبد ربه.
٥٥- **عوالم العلوم:** الشيخ عبد الله البحراني، الأصفهاني.
٥٦- **عيون المعجزات:** المحدث الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المطبعة الحيدرية (النجف)، ١٣٦٩هـ.
٥٧- **غاية المرام في تعيين الإمام:** السيد هاشم البحراني الموسوي التوبلاني، تحقيق السيد علي عاشور.
٥٨- **الغدير في الكتاب والسنة والأدب:** الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي (بيروت).
٥٩- **الغيبة:** محمد بن ابراهيم النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، أنوار الهدى (قم)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٦٠- **الفتن والملاحم:** السيد رضي الله علي بن موسى بن طاووس (ت٦٤٤هـ)، منشورات الشريف الرضي (قم)، الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ.
٦٢- **فرق الشيعة:** النوبختي.
٦٣- **قاموس الرجال:** الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين (قم).
٦٤- قرة العين من أحاديث الفريقين: محمد حياة الأنصاري، برنامج المعجم الفقهي.
٦٥- **الكافي:** ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب القمي (ت ٣٢٩هـ)، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية (طهران).
٦٦- **كتاب سليم بن قيس:** تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، دار الهادي (قم).
٦٧- **كمال الدين وتمام النعمة:** الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي (قم)، ١٤٠٥هـ.
٦٨- **كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر:** الخزاز القمي

الرازي، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري الخوئي، انتشارات بيدار (قم)، ١٤٠١هـ.
٦٩- **لوامع الحقائق في أصول العقائد**: الأقا ميرزا أحمد الأشيتاني، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٩٩هـ.
٧٠- **مجلة تراثنا**: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (قم).
٧١- **مختصر بصائر الدرجات**: الشيخ حسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية (النجف)، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.
٧٢- **مختصر تأريخ دمشق**: ابن كثير.
٧٣- **مدينة المعاجز**: السيد هاشم البحراني ﷺ تحقيق: الشيخ عزة الله المولاتي الهمذاني، مؤسسة المعارف الإسلامية (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٧٤- **مروج الذهب**: المسعودي.
٧٥-**المسائل العشر في الغيبة**: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبرى البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٧٦- **مسألتان في النص على علي** ﷺ: الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق الشيخ مهدي نجف.
٧٧- **مستدرك الصحيحين**: الحاكم النيسابوري.
٧٨- **معارج اليقين في أصول الدين**: الشيخ محمد بن محمد السبزواري تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٧٩- **معالي السبطين**: الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري (ت ١٣٨٥)، منشورات الشريف الرضي (قم).
٨٠- **معجم أحاديث المهدي** ﷺ: إشراف الشيخ علي الكوراني

العاملي، مؤسسة المعارف الإسلامية (قم)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٨١- **المعجم الكبير**: الطبراني.
٨٢- **معجم المحاسن والمساوئ**: للشيخ أبو طالب التجليل التبريزي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٨٣- **من لا يحضره الفقيه**: الشيخ الصدوق.
٨٤- **المناقب**: الخوارزمي.
٨٥- **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهر آشوب.
٨٦- **منتخب الأنوار المضيئة**: السيد بهاء الدين علي النيلي النجفي، تحقيق مؤسسة الإمام الهادي ﷺ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٨٧- **منهاج الكرامة في معرفة الإمامة**: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق عبد الرحيم مبارك، مؤسسة عاشوراء (مشهد)، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.
٨٨- **مواقف الشيعة**: الشيخ الأحمدي الميانجي، جامعة المدرسين (قم).
٨٩- **النجاة في القيامة في تحقيق أو الإمامة**: الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني ﷺ، مجمع الفكر الإسلامي (قم)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٩٠- **النص والاجتهاد**: السيد عبد الحسين شرف الدين (ره)، تحقيق: أبو مجتبى، الطبعة الأولى ١٤٠٤ (قم).
٩١- **نفس الرحمن في فضائل سلمان**: الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة الآفاق (طهران)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٢- **نهج الإيمان**: زين الدين علي بن يوسف بن جبر، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مجمع الإمام الهادي ﷺ (مشهد)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٩٣- **نهج البلاغة**: الشريف الرضي، دار المعرفة (بيروت).

٩٤- **نوادر المعجزات**: الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، مدرسة الإمام المهدي ﷺ، الطبعة الأولى ١٤٨٠هـ.
٩٥- **نور العين في مشهد الحسين** ﷺ: الأسفرياني.
٩٦- **الهداية الكبرى**: أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٧- **وقعة الجمل**: ضامر بن شدقم المدني (ت ١٠٨٢هـ)، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩٨- **وقعة صفين**: نصر ابن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة)، ١٩٨٢م.
٩٩- **ينابيع المودة**: القندوزي.

فهرس